الصح والخطأ

كُمَال نَاصِر

الصَّحُّ وَالخَطَأُ

صـــدر عن
مؤسسة تخليد كمال ناصر
وابناء ناصر

مقدمة

كال ناصر الاديب المناضل أصبح شعلة تنير الطريق أمام أجيال الفلسطينيين والعرب . والشعلة التي هي كال لهيبها قوي وشعاعها نافذ فقد ترك كال من الاثار ما يكفي ليبقى الشعلة متوقدة الى حين يوم العودة وما بعده .

لقد آلينا على انفسنا السعي الجاد لنشر كل ما بقي في الملفات وها نحن نبدأ بنشر مسرحيته الصح والخطأ آملين ان نتمكن من الاستمرار في نشر اعمال اخرى لم تر طريقها بعد للمواطنين العرب .

(لجنة تخليد كال ناصر)

تنويـــــه

ما كان لهذا المشروع أن ينجح لولا الجهود التي بذلها مجموعة من الشباب الفلسطينيين المثقف ولولا دعم أبنــاء ناصر له مالياً .

كمال ناصر في مسرحيته ـ « الصح والخطأ »
(التنين)

عاش كمال ناصر الانسانية والثورة السياسية الشاعرية عيشة موشاة في جلها رغم انها لم تكن على الدوام مرضية اذ تنتمي الى انسان ليس ليرضى عن ذاته حتى في اسمى مرتبات تجليها . غادر الحياة ولما يزل طفلا ازليا وعاشقا ربيعيا واخا للبشرية مصداقا . غادرها ، بالثورة في الثورة، ترحمت عليه فيما لم يرحم هو نفسه . غادر الحياة بعد ان خاض غمار سياساتها العشواء ، فكر وفر ومرات ، يدفعه الى الاستمرار انه بدأ الحياة بها ثم انهاها بها .

كان شعر كمال يقف بالمرصاد لكل اوجه الحياة تلك فتتبرج وتزدان لتنسكب في اعذب قصائده التي رددها غزلا وبراءة وثورة .. الما واملا . لم يكن وحده من الشعراء من يلجأ الى غير الشعر لتسجيل همومه ومرئياته وان يكن من القلائل في لجوئه الى المسرحية النثرية يرتاح الى هيكليتها المطواع ، يسكب فيها بعض تجاربه السياسية على الاخص . اراد ان يؤرخ للحقيقة المرة المتجلية في الانقلابات العسكرية وفي مجمل ممارسات الانظمة ، واراد ان يصنع الثائر ـ النموذج .. وليس يسعفه ـ انذاك ـ غير

المسرحية .. كتبها ، يقال ، اكثر من مرة : الا اننا نلـــــم اصابعنا برفق على واحدة تيسرت ، فيما ترزح اخوات لها في قبضات بعضهم كمن لقي جوهرة نادرة .. ربما . نحـــن الان حيال مسرحية حملت اسم « الصح والخطا » .

يظل تساؤل : هل كتب كمال ناصر مسرحيته قاصـــــدا وفي تخطيطه ، ان ترى النور فوق خشبة احد المسارح ؟ هذا ما سنراه خلال تحليلنا لاحداثها وشخصياتها والظـــــروف المحيطة بكاتبها من خلال شخصيته الانسانية والسياسية على السواء .

تتنامى شخصيات هذه المسرحية في اطار فصلين : الاول في مشهدين ، والثاني في ثلاثة . من الشخصيات ثلاث فقط رئيسية مميزة هي : سلام ، سعد ، محمد ، وقد يجيز لنـــا السياق اضافة « التنين » شخصية هامة رابعة : فيمــــا يتراوح ما مداها بين اللمح او بين الدفع المثير للاحداث .

واذا كان لتحديد مكان الاحداث اهمية ؛ فمدينة دمشـــق مسرحها الذي تمطي شاملا العواصم العربية جمعاء . اذا كان الامر كذلك ؛ فان الزمان ينطلق من فشل التجربـــة السياسية الوطنية في الاردن اوائل ١٩٥٧ وفرار الحزبيـــين والوطنيين الى خارج البلاد . هذا زمان تقديمي كان ضروريا تحديده لدى الكاتب اشعارا منه للقارىء ــ المشاهد بمرارة التجربة الجديدة التي لم تستفد من تجربة الزمان الاول . اما زمان المسرحية الفعلي : فالايام التالية لنجاح الانقـــــلاب العسكري الذي اوصل طاقما معينا من المقاتدين الى ســـدة الحكم في سوريا عام ١٩٦٣ وهي لعبة السيلـــة والعسكـــر فاين تقف حدود دور كل ؟

احداث المسرحية :

تبدأ المسرحية بوصول سلام ورفيقيه : محمد وسعد من عاصمة عربية الى دمشق المدينة التي « نستطيع ان تحتوينا برفق ، وتعطينا املا جديدا في الحياة والكفاح » بعد ان انهارت تجربة الحزب من قبل لدى اصرار السلطات على مخططاتها . وهنا يكون لهم بالمرصاد ذاك « التنين » الرهيب نفسه الذي كان المترس المدينة الاولى ، وها هو يتأهب للثانية والثالثة .. ومع خطورته ، فلا مدينة ولا احد يشعر بوطأته وينظر الى تدقيه المتسعين اللهم الا بضعة رفاق حزبيين شردتهم الزعامات وطاردتهم وها هم ينذرون انفسهم لسحق الزعامات وتحرير المدن والانسان . اول المستقبلين، كان كهلا تتخيله شخصية العجوز راوية التاريخ مرسلا لحيته الكثيفة البيضاء وهو يسترجع الماضي وينبه الى المستقبل بكلام كالسحر الشافي : « ان المدينة ثارت ، ومن خلال قواها الفاعلة استطاعت ان تضرب وتشتت حكامها رافعة شعار الثأر واحياء الشفيقة القتيلة محملة الحكام والمسؤولين مسؤولية الاسهام في قتلها » ونجح التغيير ونشأ احساس بضرورة التغيير « فارتبط الماضي بالحاضر في اللاوعي وتركزت الاماني والاحلام الصادقة من اجل الانقاذ في التغيير وبالتالي في الحكام والمسؤولية تضخمت الاخطاء وكثرت التهم واستعجلت الامور . . لقد سيطرت فكرة التغيير على كل من في الحكم واصبح ليس في الحكم . وانحاز كل من ليس في الحكم الى صفوف اعداء الحكم .. وابتدات الدوامة .. »

لتح الكهل العيون ، حمل خيوط المشكلة المزمنة واشار الى « التنين » الرهيب قائلا بمرارة يسمون بالاسطورة فيما عدا الحكام انفسهم ، دائما ينفون وجوده » . الشعب

كله يعرف الحقيقة ، حتى السكران ابن الشعب في سكره يدركها في قوله : « نحن نتغذى ونعيش على هذه الانقلابات » . ويحمل فكرا مشرقا وهو يشهد محاولة انقلابية جديدة تخنق في المهد ضد جماعة الانقلاب الاخير ، وفي ذلك يقول السكران : انتصروا ، ما معنى انتصروا .. هذه لفظة محذوفة من قاموس المدينة .. هنا لا ينتصر احد .. هنا فقط ينهزم حكام امام حكام » .

وفيما هم كذلك من مخجل مبك ، يدخل ضابط تشير الفاظه وطريقة تفكيره الى حداثته في عهد المسؤولية ، او الى عنجهية مفرغة من العقلانية .. فهو ، كما يبدو ، ممن اعتمد الانقلابيون الجدد على أمثاله من صغار العسكر .. وصار كل يعتقد انه ركيزة الناجح فالحاكم قبل غيره . فهذا الضابط الذي لم يكن يعرف من عقيدة الحزب حرفا ، نراه يريد الارتفاع فوق سلام وسعد ومحمد ، قدامى الحزبيين المناضلين رافعا المسدس في وجوههم بينما لم يمر على انتسابه الى الحزب اكثر من ثلاثة اشهر . وعندما ينهره سلام قائلا « ضع هذا السلاح في ظهرك .. ان الحزب يعرف متى يجب ان يستعمل السلاح » يجيبه الضابط متهكما : « الحزب .. ها .. الحزب ! » ورغم هذا ، وعندما ينهر العقيد احمد ذلك الضابط المتصاغر بـ « كلب » يجسد سلام عقائديته الحقيقية الفذة باعتراضه : « نرجو الا يكون هذا الاسلوب في محادثة الاخرين متفشيا في صفوفنا » .

ويرتكب سلام جريمة قتل ، لم يحن بعد الكشف عن وقودها او ضحاياها الحقيقيين .. الا انها جريمة تفتح باب الصراع والتناقض بين الحكام .. ويدور حوار طويل بين الرئيس القديم والرئيس الجديد على حد قول المصري

« ليت شعري ما الصحيح » . بانها العقلية المتوارثة :
كل يدافع عن سياسته ابان فترة رئاسته . وباحترام
يصرخ السلف « .. ونحن ثوريون ، وليس لكم ان تنزعوا
عنا هذه الصفة . نحن الذين علمناكم وزرعنا فيكم هذه
الفكر » . لمثل هذين قد يكون ارتكب سلام جريمته وقد لا
يكون . كل ما نلمسه الان ، هو عودة الضابط الى ممارسة
اسلوبه السابق مضيفا الى نار صراع الرئيسين زيتا
جديدا .. التنين لهذا ينتفض ويزار مستثارا بتداعي الادواء.
حتى التنين القاتل يدافع امام سلام عن نفسه دفاع حق
مشروع : « انا احضرت الى هنا .. هناك من هو اقدر على
الشم مني . يشم رائحة المستنقع ويزكم بها انفي فاتحرك
واعمل ، وافترس واتغذى واترعرع على العذاب . لقد
احضرتني هذه القوى الخفية وامراضكم جزء كبير منها » الى
ان يقول : « لا الاقي صعوبة في عملي هنا ، ومدينتكم تسيل
حتى العظم بالنزوات والفردية .. مجالي ، مجالي
خصب » .

ايدي السوء كثيرة ، كل تستحق السحق فرادى وجماعات.
ان لم ينج من سلام المسؤولون والحكام ؛ فلن ينجو التنين.
حزم سلام أمره ، واشرقت عليه ملائكة الايمان تختبر عمق
ايمانه وصدق ترجمانه . انباته فبهت والتبس عليه ، فلم
يفهم الا ان عليه واجبا مقدسا . وهكذا انتصب كالعملاق
امام التنين يطعنه وجها لوجه فيما تطعن الشرطة سلام
لظهر .. عاشت الشرطة ، مات سلام ، عاش سلام ، مات
التنين ، ماتت الشرطة ، عاش التنين ، مطلوب اكثر من
سلام وسلام .

القتلة يندبون ولات ساعة مندم . الضابط المجرم ،نادما:
« لقد لقيته مرة في مكتب الحزب عندما وصل لاول مرة ..

تخاصمنا .. قال لي كلاما كبيرا .. اهانني ، تحداني .. عجبا ، لماذا لا احس بهذه الاهانات الان » . بالطبع ، لانه مات .

وزياد المدافع عنه يمسح خد البشرية : « لقد تصالحوا وتعانقوا .. تماما مثلما كنت تشتهي .. وثبت لنا ان كل خلاف يمكن ان يحل بين ابناء العقيدة الوحيدة .. وحتى مع الخصوم احيانا .. »

والتنين ، رغم سقوطه ، يظل يبتسم ابتسامة الساخر من رفاق العقيدة المتناحرين فيما سلام ، وهو يقاتل بسبب الخصام ، يموت هو والخصام ويتصافى الرفاق . ويشير صديقه القديم طلال : « انظروا يا اخوان ، الرئيس القديم والرئيس الجديد ، يتابط الواحد منهما ذراع الاخر ، يضحكان .. ويتناقشان بهدوء .. « الرئيس الجديد يزدريه ، اما القديم فيرثيه ، واما سعد ، الرفيق الوفي المناضل فيحاكم الاثنين .. ويحاكم الضابط : « لماذا قتلته ؟ هل طلبت اليه ان يستسلم فرفض ؟ الرصاص في ظهره .. قل لي لماذا قتلته في ظهره يا قذر ؟ .. اذهبوا ، سنحمله نحن رفاقه الذي كنا نحب فيه نضاله ورذائله .. الملاك والشيطان .. كل تناقضاته التي ثبت فيما بعد انها كانت تنبع من صدق معاناته .. من اجلنا .. »

ويصر سعد على الثأر لسلام من قاتليه !! ووسط زحام الصراع والاتهامات تنتهي احداث المسرحية . وعند حد ولادة فكرة الثأر والاقتتال ، يولد التنين من جديد مبتسما .. فلا يخلصنا من شر ابتسامته الا ستارة تنسدل .

شخصياتها :

تحتشد في المسرحية شخصيات عدة ، منها ما هي رئيسيه امثال سلام وسعد ومحمد والتنين ، ومنها ما هي على هوامش الاحداث لكنها تحمل غالبا امكانية التكميل . ويمكن القول : ان التناقض بين الشخصيات غير واضح بشكل صارخ ، ربما لاهتمام الكاتب بشخصية واحدة هي « سلام » وجعل الاخرين يدورون في فلكه . سلام والتنين نقطتا التحرك جذبا وافتراقا وما عداهما قد يكون ضروريا جدا وقد يكون حشدا . سلام ، هو الشخصية الوحيدة المتميزة عما عداها ولعل في نفس الكاتب غاية سوف نقتفي اثرها في السياق .. اما الاخرون فهم :

* سعد : الرفيق الاول لسلام في الحزب منذ بدء النضال وقد عانى اكثر منه واصيب وتعذب قبل القرار الاخير . موضوعي في مناقشاته واحكامه ، يدافع عن سلام في حالتيه : مناضلا بالكلمة ومصلحا بالرصاصة . تظهر اهميته من خلال افتتاح المسرحية بوجوده وانتهائها في حضوره وزلزلته واركانه على انه الحياة بصورتها المصغرة . وموقفه الاخير من قتلة سلام خير شاهد على قوة شخصيته وهو وحده ظل وفيا لرفيق دربه حتى النهاية .

* * محمد : رفيق حزبي اخر لسلام ، يشاطره مع سعد الاحداث كلها . فيقف من سلام موقفا ملتزما وان كانت له بعد ارتكاب الاخير جريمته ، وجهة نظر خاصة تتمثل في معارضته لاسلوب التصفية الجسدية وذهابه الى ان النضال السياسي قد يوصل الى الحقيقة وحده . هذا على الرغم من اعترافه بأن دم رفاقنا المسؤولين حتى عن الخلافات والمهاترات تجمد على ظهر المنصة وقد اتخذ قرار بعدم محوه

ليبقى شاهدا على جريمة سلام والفردية وحبه للظهور ..
لقد اخطا محمد في تقويمه لسلام لان هذا كان اخر من يعمل لاظهار نفسه . حتى احداث المسرحية نفسها لا تأتي على عمل واحد يشير الى مثل هذا .

* زياد : يتحمل دورا عظيما في المسرحية ، وهو من الميزات بما يجعله صوتا للرفيق سعد .. يدافع عن تصرفات سلام حتى في ارتكابه لجريمته المنظمة من سابق يأس واصرار وعلى منوال « سعد وزياد » وشاكلة « محمد » تنتظم اكثر الشخصيات لمثال :

* ابراهيم : ينطق بعبارتين فقط خلال المسرحية مما لا يوضح له شخصية معينة ، فيمكن اذن ، اعتباره فضلة .

* عادل : من الذين يتهمون سلام بتعمد الجريمة ، يعني ادانته متجاهلا الظروف الموضوعية لاقدام سلام ذي الشخصية المميزة على فعلته . دوره قصيرة جدا وغير ذي اهمية تستوجب ادخاله عالم المسرحية .

* طلال : لا يظهر الا في دائرة خاتمة المسرحية بشخصية الانسان المنطقي الكاره لامر توسيع دوائر الخلافات ، مقتربا في هذا من شخصية سلام كما سنتبينها .

* رجاء : شخصية عابرة اخرى ، تمر بعدة ادوار في اقوال لم تكن ابدا قادرة على توضيح ملامح بارزة للشخصية مما يدفعنا الى اعتباره شخصية حشوا .

* الرئيس الجديد والرئيس القديم : شخصيتان اداتان لتعريف الصراع وتجسيده ، لكي يدرك الانسان ان البسطاء

الطيبين يذهبون في الغالب ضحية لاولئك المتصارعين ظاهرا المتواطئين ضمنا على الاسترخاء الكلي فوق جسد الشعب المتراخي . الرئيس الجديد ديكتاتور يفرض رايه بقوة العسكر والقديم يعيش على الماضي الذي لا يتكرر الا كاضغاث احلام. ووسط صراع القديم والجديد يصرع الابرياء .

* الضابط : شخصية فريدة تستدعي نقيضا : فالضابط عسكري حديث الحزبية ، رفعته حاجة الانقلابيين اليه ولامثاله في الظرف العصيب ، الى مصاف الامرين الناهين شانه شان ضعاف النفوس المتسلقين . ينفذ ما يؤمر به وان كان يتمادى غالبا بالتصرف حسب مزاجه الفوضائي . ومع ان دوره في بداية المسرحية ، قصير جدا ، الا انه فاصل سواء في استخدامه اداة تغدر بسلام رغم قيامه حينذاك بواجب مقدس :

* العقيد احمد : هو الشخصية المناقضة للضابط الاول .. قيادي حزبي وعسكري ، متفهم لوضع الرفاق الهاربين من الاردن الى دمشق . ورغم قصر دوره ، فانه يمثل العسكر الطامحين الى التغيير بالعنف المنظم .. ضرورة استيلاء العسكر على السلطة ، وهذه الضرورة هي من الامور المرفوضة عند كاتب المسرحية اصلا ، وعند بطل المسرحية « سلام » ايضا .

شخصيتان اخريان يمكن اضافتهما وجوبا لما تمثلانه من واقع ماساوي نعيشه نحن وكل البشر في آن واحد بعينين مختلفتين متكاملتين :

* الكهل : رجل حكيم غيور .. شهد اللعنة وموت المدينة الاولى وعاش مرارتها التي ما برحت في فمه . ادرى الناس

بالالام البشرية .. ذبلت حشاشته وهو يصرخ من اعماقه « اقتلوا التنين ، اقتلوا التنين » نعاش الماسي مضاعفة : لا التنين يقتل ، وانما تتلاه بتكاثرون .. ولا حياة لمن ينادي . الكهل مؤرخ يسجل بقلبه لا بيراعه فقد مات كثيرون بالتنين وولوا بينما هو يتمزق لمرآهم .. شهد وشاهد فبلغ الى ان الاقتتال كان عنيفا بين المتزعمين يصم الاذان ويبهر الابصار ، فلم يترك الكهل المسرح الا صارخا مرتين « اقتلوا التنين » اي خطب عظيم سيكون هذا التنين حتى يتردد ذكره هكذا ؟

* السكران والحكمة من افواه المجانين والسكارى تؤخذ . كم وكم تطالعنا مسرحيات مختلفة بشخصية واحدة هي « السكران » فهل يمكننا اطلاق حكمنا : تعددت السكارى والقصد واحد ؟ الواقع يفرض هذا الحكم هنا حيث ينبيء السكران بقرب قيام محاولة انقلابية .. ولا يكتب لها النجاح شانها شان سائر التحركات الوصولية الانتهازية التي تحاول ان تكون لنفسها مرتكزا في المجموعة الانقلابية الجديدة الرئيسية رغم عدم فاعليتها في وصول المجموعة الى سدة الحكم . فالسكران اذن ، شخصية واعية حكيمة تتستر بشفافية عن المقصد العظيم النبيل متمثلا في الرغبة الجامحة في الحفاظ على تماسك الشعب رغم تناحر الحكام في ادعاءات الانتصارات على بعضهم بعضا وسنابك خيلهم تسحق ضلوع الابرياء : فاول رد فعل على محاولة الانقلاب ، ضحك السكران قائلا : ما معنى انتصروا ؟ هذه لفظة محذوفة من قاموس المدينة .. هنا لا ينتصر احد .. هنا فقط ينهزم حكام امام حكام . فلماذا نهرب او نصدف عن الحقائق التي يجلوها من سماه الكاتب عن عمد سكران ؟ اليس بكاشف عن الحقيقة في اللاوعي الاذكى من الوعي ؟

★ التنين : لا باس ان اعتبرناه شخصية مسرحية ، فلولاه

لامتنعت حياة الشخصيات الاخرى في فقدانها لمبرر وجودها كما انه شخصية كنا اتينا على تبيان بعض ملامحها قبلا ولم يبق الا اعتبار التنين : عدو الشعب المقتل ، او عدو الثورة – اية ثورة – او عدو الامة العربية على العموم : فهو في شتى هذه الحالات اما العدو الصهيوني نفسه ، واما اصابعه المنبثة في ممالك وقصور ومؤسسات الوطن العربي . هو اللعنة . . قتل المدينة الاولى ، وما انيته من جديد الا تذكير بسعيه الدؤوب الى التهام المزيد من المدن . قال عنه الكهل في المشهد الاول من الفصل الاول : التنين ياابنائي هي اللعنة التي انزلتها بنا الحياة عندما رلقنا نستهتر بها الى هذا الحد انه لعنة ، ولكنه رمز جائع مفترس ، لا يتغذى ولا يترعرع الا بالصراع . يحارب في كل لحظة ، وعلى اكثر من جبهة ، ويتلهى بالوجبات الصغيرة على مدار السنة . ولكن ، له وجبة رئيسية كبرى يفترسها في كل عامين او ثلاثة . . . بلا موعد فلنفهم كيف نخلي نحن على حياته واسباب وجوده فهما واعيا من خلال ملاحظاتنا في المشهد الاول من الفصل الثاني ، عندما ارتكب سلام جريمة قتل المسؤولين عن الجرائم ، ملاحظتنا كيف راح التنين يقهقه وما تحمله القهقهة من عمق الضحكة وشقائها للنفس فكيف اذا كانت مبطنة حقدا !! عند هذا الحد من تحليل تعريفي ببعض شخصيات المسرحية ، نتجاوز بضع شخصيات رمزية أخرى يمكن للقارىء أن يطالعها فيما لو نشرت فيما بعد . ولغاية في النفس ، اخرنا الشخصية الرئيسية المميزة في بطولة المسرحية الى هذا المكان لكي نتفرغ لها فنوليها تشريحا ادق ومحاولة استكشاف أعمق وابعد مدى ولنقرر ان « سلام » في المسرحية لم يكن الا الشخصية الحقيقية لكاتبها ، كمال ناصر ، نفسه . لا فرق ساعتئذ ، اذا اجرينا الحديث على سلام او على الكاتب فسيان ان يختلفا .

شخصية الكاتب من خلال بطل مسرحيته :

* سلام : انسان تطارده اللعنة وتلاحقه ، فيذهب ضحية الاجيال . كان ذلك في المشهد الثاني من الفصل الاول وقول الكهل : التنين ياسيدي .. اللعنة الكبرى تطاردني .. تلاحقني بالاضافة الى قول سلام في المشهد الثالث من الفصل الثاني : « انا المهشم » الامال .. انا ضحية الاجيال . كمال ناصر مبدع شخصية الكهل يستنطقها ذاته ويكمل استنطاق نفسه بنفسه حتى يغدو واضحا عبرهما اذا ما رجعنا الى الفكرة ذاتها التي طرقها في قصيدته الميلاد حيث يقول :

« ولدت احمل جثماني على كتفي — ولدت وا أسفي — انا ضحية تاريخي واصفادي — اللعنة ، اللعنة الكبرى تطاردني»

وسلام انسان « متفائل متفائل .. انا اعيش بالامل الكبير الجديد .. من كان يظن ويحلم آننا بهذه السرعه ، وضد جميع الظروف نستطيع ان نفجر الثورة ... افكارنا .. مبادئنا تصوروا اننا سنتمكن من تجسيدها بعد وصولنا الى الحكم » مقابل هذا التفاؤل شبه المطلق ، بدا وسط احوال التآمر والاصطراع الحزبي ، يائسا من امكانية الاستقامة وصلاح الامور فالتجأ الى التنين عدوه الاول متهالكا : « انصحني ايها التنين ، انصحني .. بالله عليك ، ماذا افعل ؟اريد أن أنقذ مدينتي » . كذا كان كمال ناصر يتأرجح بين التفاؤل المتطرف والتشاؤم القابض للانفاس ، ولكنه لم يكن يوما مستسلما بالمفهوم الانف بدليل انه اعتزم قتل التنين من البدء وقد نفذ

---

١ — الاثار الشعرية صفحة ١٩ .

٢ — من دوره في المشهد الاول من الفصل الاول .

٣ — من دوره في المشهد الثالث من الفصل الثاني .

ذلك فعلا في النهاية .. لذا نقول انه جعل من سلام شخصية مثالية هيهات ان تتألف ملامحها في امرىء فرد . والمثالية اوضح ما تكون في كلمته اللافتة للعقيد الذي عنف الضابط البدائي كما رأينا ، قال : « نرجو الا يكون هذا الاسلوب في محادثة الاخرين متفشيا في صفوفنا .. انت تعلم اننا سفحنا حياتنا على مذبح العقيدة نضالا واخلاقا » المثالية المتطرفة لا تمنع ان تكون بالمقابل هناك مثالية حقة ، خاصة اذا كانت متمثلة في انسان تعارف السواد الاعظم على نعته بـ « الضمير » استنادا الى قيامه بدور عظيم في ساحات الثورة السياسية والمسلحة . كان كمال ذا عقيدة راسخة .. تحزب مبكرا وعاش حتى استشهاده بجناحين اشار اليهما في قصيدته راثيا الشهيد خالد اليشرطي .

وكان كمال ذا سمة مميزة يحسد عليها اذا استطاع فعليا تحقيق دعوة المسيح « احبوا حتى اعداءكم » وقد اشتهر عنه ان فتاة يهودية في القدس المحتلة تعزف الموسيقى وجدت فيضا من المحبة في صدره رغم ان آباءها اعداؤه التاريخيون الى مثل هذه العاطفية يشير كمال على لسان « سلام » عندما لاحقه الجنود لقتله وهو يحاول قتل التنين غير آبه بدعوته للاحتماء وراءه مجيبا : سيقتلونني ! هم اخوتي ، فان فعلوا فلن احقد عليهم .. لعلهم على صواب ... لعلهم على خطأ . من يدري ؟ بلادي وان جارت علي عزيزة ، واهلي وان ضنوا علي كرام . اين يتحقق قول الشاعر هذا في ايامنا هذه ؟

اذا كانت هذه بعض ملامح الكاتب من خلال الشخصية الرئيسية في مسرحيته « سلام » فان هذه الملامح تتعدد

---

١ ـ من دوره في المشهد الثالث من الفصل الثاني .

شخصية الكاتب من خلال بطل مسرحيته :

* سلام : انسان تطارده اللعنة وتلاحقه ، فيذهب ضحية الاجيال . كان ذلك في المشهد الثاني من الفصل الاول وقول الكهل : التنين ياسيدي .. اللعنة الكبرى تطاردني .. تلاحقني بالاضافة الى قول سلام في المشهد الثالث من الفصل الثاني : « انا المهشم » الامال .. انا ضحية الاجيال . كمال ناصر مبدع شخصية الكهل يستنطقها ذاته ويكمل استنطاق نفسه بنفسه حتى يغدو واضحا عبرهما اذا ما رجعنا الى الفكرة ذاتها التي طرقها في قصيدته الميلاد حيث يقول :

« ولدت احمل جثماني على كتفي — ولدت وا اسفي — انا ضحية تاريخي واصفادي — اللعنة ، اللعنة الكبرى تطاردني»

وسلام انسان « متفائل متفائل .. انا اعيش بالامل الكبير الجديد .. من كان يظن ويحلم أننا بهذه السرعة ، وضد جميع الظروف نستطيع ان نفجر الثورة ... افكارنا .. مبادئنا تصوروا اننا سنتمكن من تجسيدها بعد وصولنا الى الحكم » مقابل هذا التفاؤل شبه المطلق ، بدا وسط احوال التآمر والاصطراع الحزبي ، يائسا من امكانية الاستقامة وصلاح الامور فالتجأ الى التنين عدوه الاول متهالكا : « انصحني ايها التنين ، انصحني .. بالله عليك ، ماذا افعل ؟اريد أن أنقذ مدينتي » . كذا كان كمال ناصر يتأرجح بين التفاؤل المتطرف والتشاؤم القابض للانفاس ، ولكنه لم يكن يوما مستسلما بالمفهوم الانف بدليل أنه اعتزم قتل التنين من البدء وقد نفذ

---

١ — الاثار الشعرية صفحة ١٩ .

٢ — من دوره في المشهد الاول من الفصل الاول .

٣ — من دوره في المشهد الثالث من الفصل الثاني .

ذلك فعلا في النهاية . . لذا نقول أنه جعل من سلام شخصية مثالية هيهات ان تتالف ملامحها في امرىء مرد . والمثالية اوضح ما تكون في كلمته اللافتة للعقيد الذي عنف الضابط البدائي كما رأينا ، قال : « نرجو الا يكون هذا الاسلوب في محادثة الاخرين متفشيا في صفوفنا . . انت تعلم أننا سفحنا حياتنا على مذبح العقيدة نضالا واخلاقا » المثالية المتطرفة لا تمنع ان تكون بالمقابل هناك مثالية حقة ، خاصة اذا كانت متمثلة في انسان تعارف السواد الاعظم على نعته بـ « الضمير » استنادا الى قيامه بدور عظيم في ساحات الثورة السياسية والمسلحة . كان كمال ذا عقيدة راسخة . . تحزب مبكرا وعاش حتى استشهاده بجناحين اشار اليهما في قصيدته راثيا الشهيد خالد اليشرطي .

وكان كمال ذا سمة مميزة يحسد عليها اذا استطاع فعليا تحقيق دعوة المسيح « احبوا حتى اعداءكم » وقد اشتهر عنه ان فتاة يهودية في القدس المحتلة تعزف الموسيقى وجدت فيضا من المحبة في صدره رغم ان آباءها اعداؤه التاريخيون الى مثل هذه العاطفية يشير كمال على لسان « سلام » عندما لاحقه الجنود لقتله وهو يحاول قتل التنين غير آبه بدعوته للاحتماء وراءه مجيبا : سيقتلونني ! هم اخوتي ، فان فعلوا فلن احقد عليهم . . لعلهم على صواب . . . لعلهم على خطا . من يدري ؟ بلادي وان جارت علي عزيزة ، واهلي وان ضنوا علي كرام . أين يتحقق قول الشاعر هذا في أيامنا هذه ؟

اذا كانت هذه بعض ملامح الكاتب من خلال الشخصية الرئيسية في مسرحيته « سلام » فان هذه الملامح تتعدد

---

١ ــ من دوره في المشهد الثالث من الفصل الثاني .

وتتوحد من خلال ادوار شخصيات اخرى في المسرحية الى ان تبدو شخصية المؤلف طافية على كل حركة وسكنة وشاردة وواردة .

عطفا على السمة الآنفة ، نلمح الكاتب عبر بطله «سلام» رقيقا عاطفيا لا تستطيع ان تسحق ذبابة .. انت الـــذي تترقرق عيناك بالدموع اذا رأيت طفلا صغيرا : فكمال الذي لم يتزوج فلم ينجب كان يعتبر كل أطفال الكون خاصته يحبهم فوق حدود التصور حتى بدا نفسه طفلا أزلياوتدتأكدمنطفولية رفيقة سعد في وصفه اياه بانه الذي لم اكن لاصدقه ان سلام يفعلها ، سلام الرقيق ، سلام الذي لم يستطع مرة ان يقتل نحلة وقفت على يده فراح ينظر اليها ، ولما سألناه عن تردده في قتلها قال : اريد ان اعطيها فرصة . كان كمال في قيادته للشبيبة ضمن جهازه الاعلامي في الثورة ، اذا ما تعرض في المكاره لانتقادات ولو قاسية — يجيب باسما : انهم شباب غير مجربين ، اعطيهم فرصة فقد كنت في شبابي مثلهم .

واذا كان هكذا نتساءل : هل ندم سلام على قتله المسؤولين عن الخلافات والمهاترات ؟ كلا لم يندم وان كنا نميل الى فعله ذلك في اللاوعي .. في الحلم مع انه حق مشروع لكثيرين ما عدا كمال الحقيقي .

ففي المسرحية يقول سعد : « لقد رايته كالنمر يقفز من مقعد الى مقعد ، يطلق الرصاص ويصرخ باعلى صوته : ادفعوا ثمن خلافاتكم .. كونوا عبرة للاجيال .. ساقتلكم واقتل اثنين معكم » .

---

٥ — من دور سعد في المشهد الاول من الفصل الاول .

٦ — المشهد الاول من الفصل الثاني .

وتقول سعد هذا مناقض لحقيقة كمال التي عاشها في الواقع المثالي : فمشهور عنه ابان مناقشات المجلس الوطني الفلسطيني لموضوعات حساسة ابرزها الوحدة الوطنية ، كان كمال حمامة السلام يطير من مقعد الى مقعد « يقبل لحية هذا ، ويحضن يد ذاك » ، في محاولة مستميتة لتجاوز الخلافات البسيطة القاتلة .. وغالبا ما كان النجاح يوافيه .

واخيرا «كان كمال من اشد الكارهين للانقلابات العسكرية» معبر عن ذلك في كتابات مختلفة ، بحجة انها تسفك دماء بريئة كثيرة ، وتزهق بالقتل او بالسجن كفاءات عسكرية وقيادية عديدة ؛ وتحيل على التقاعد القاتل والنفي والفرار وجوها عدة خشية ان تتعاطف مع النظام السابق او كانت متعاطفة فعلا . اضافة الى ان الانقلاب الجديد يبدأ بالبلاد مجددا من نقطة الصفر وما ان يبني شيئا فوق مستوى سطح البحر حتى يكون الزلزال الجديد قد بدأ تململه وثورانه . لاجل اكثر هذا ، كان لكمال مفهوم خاص لاصلاح ما فسد ولبناء ما تصدع .. مفهوم الحوار ، الحوار حتى ينبلج صبح زاه . ولقد استطاع زياد في المسرحية ان يعبر عن هذا المفهوم ، بعد مصرع سلام ، تعبيرا موفقا اذ قال مخاطبا اياه بأسى : « لقد تصالحوا وتعانقوا .. تماما مثلما كنت تشتهي .. وثبت لنا ان كل خلاف يمكن ان يحل بين ابناء العقيدة الواحدة ، وحتى مع الخصوم احيانا » .

كانت هذه خطوطا عريضة وايماءات لملامح شخصية بطل المسرحية « سلام » والتي حاولنا من خلالها التجاوز الى تحليل جوانب عدة من شخصية كاتب المسرحية في محاولة

---

٧ ــ المشهد الثالث من الفصل الثاني .

متكاملة الطرفين امتدادا حتى الى الشخصيات الثانوية ويقيننا أن الكاتب — مسرحيا او غير مسرحي — لا يستطيع ان يكتب ادبا متفلتا كليا عن مكنون نفسه .. وقد يخلق كل مكابر .

نظرة في بعض احداث المسرحية

تجري احداث المسرحية اثر انقلاب ناجح يقوده حزب عقائدي في عاصمة عربية . وتدور حول حزبيين عقائديين متفهمين لوضع الثورة جيدا ، واخرين يسعون الى الحكم مطية الى ميولهم وشهواتهم (حسب المسرحية) وبين الفريقين يقف العدو الاعظم محرضا على الاقتتال الذاهب بكليهما معا عند حدود وعيهما التام .

فالمسرحية اذن، وثائقية تسجيلية يمكن ان تشهدها خشبة كل مسرح اثر اي انقلاب عسكري في اي بلد من بلدان العالم.. لها نكهة خاصة لاتفوح عطورها الا في ازمنة وظروف خاصة مؤاتية . لقد كتبت في ساعات الانفعال والتوتر العصبي من وضع سيء سائد . وما الفاشية والانتهازية والثورية وغيرها الا من الالفاظ التي يكثر تداولها بين الشعب وتعم حتى تهدأ الدوامة.

وعدا كونها سياسية وثائقية، فان عناصر التشويق فيها تتاخر كثيرا عن الالتئام ، مما يتطلب اعادة كتابتها بشكل اوفى ملاءمة للاسلوب والجو المسرحيين حتى تصلح معملا للتمثيل . وهنا يحق لنا ان نتساءل : لماذا تتاخر عقدة المسرحية — ازمتها — الى ما قبيل نهايتها فتنفجر مع الحل دفعة واحدة ؟ واستدراكا ، قد يستطيع الاخراج ان يكسر بعض الرتابة الكائنة في ادوار معينة. لعل الكاتب لم يجد

متسعا او لم يول اهتماما كبيرا لمراجعة ما كتب، فغصت المسرحية باخطاء لغوية كثيرة : فدور «سعد» في المشهد الثاني من الفصل الثاني، يسجل طولا مملا في معرض رده على تهجم الرئيس الجديد على فكر الحزب . وكذلك ادوار اخرى مملة في استطالتها للرئيس الجديد والرئيس القديم . هذا يقودنا الى اللفت لامر غير واضح في تواجد شخصيات عدة مما اتخذت اسماء : « الرئيس، الرئيس الجديد، الرئيس القديم — الرئيس السابق » في مطلع المشهد الثاني من الفصل الاول.

وبعد اسطر يرد القول : « يدخل الرئيس الجديد الثاني» فما العبرة من تكديس القاب الرئاسة هذه ؟ عن وعي أم عن غير وعي ؟ لا نرى لها ادنى مبرر .

ونود ان نتساءل : لماذا حشر المؤلف اشاعة بين الناس مفادها ان «سلام» بعد ارتكاب جريمته، قد اتصل باحدى القبائل المسلحة في جنوب المدينة استعدادا للفتنة ؟ اشاعة لا تخدم الموضوع الاساسي مطلقا فتبدو كالحشو .. اللهم الا ايرادها من باب اشتهار الحاكمين بالصاق التهم القاتلة ببعض المطلوبين تمهيدا لاجازة محاكمتهم ومعاقبتهم باسم الشعب . في هذا المخرج ضعف واضح فالقصد غالبا ما يكون دون التحليل : وقد أطل احد الشعراء، زمن العباسيين، من كوة منزل اجتمع فيه اهل العلم والادب واللغة يتحاورون في معنى بيت لذلك الشاعر وهم لا يرونه .. وراحوا يذهبون في التفسير والتأويل كل مذهب ويشتطون خلف السواحل حين حسم الشاعر الامر غير مطيق قائلا : والله لم أرم الى أي مما كنتم تتحدثون فيه . هذه حجتنا.

ونسجل اخيرا على الكاتب ، ما ورد في المشهد الثالث من الفصل الثاني وصفه «سلام» الملقى على ظهره صريعا

برصاص الشرطة قبالة التنين وهو يقول في هذا « المهيع من الحياة الى الموت » : « يا الهي، لقد مات .. لقد انتصرنا .. انتصر الحب .. ستعيش حركتنا .. ستنتصر مبادؤنا .. ستزول اللعنة .. المدينة الحبيبة ما اجملها .. انني المحهم يتعانقون .. آه — ربما يعملون ، لقد .. لقد .. مــات »

ويموت سلام كذلك . نقول : في هذا الموقف الرهيب . هل كان ممكنا لسلام ان يتلفظ بهذا ؟ لم الخروج عن المالوف والمعقول ؟ ان للانسياق الشعوري حدودا يحددها العقل مهما تمادى . واذا كنا نلجا غالبا الى التبرير، فلان التعبير قد يكون باساليب متعددة، وقد يكون موقف سلام هذا هنا مقدرة اسطورية على تغليب انطلاقات النصر والتفاؤل والحب على حواجز الموت والفناء . ولنا أن نذهب كيفما شئنا. كما وعلينا ان نسجل رفات قلوبنا وهي تشهد ابطال المسرحية يتحركون فعلا في حدود الزمان والمكان .

ومسك الختام ، بضع ملاحظات حول عناصر واحداث تدفع المسرحية الى مرتبة عليا بين سائر المسرحيات السياسية التي تشهدها المسارح خاصة في الوقت الحاضر . ومن ثم ، يمكن دفع مسرحية « الصح والخطا » للارتفاع فوق الخشبة في زمن يسجل الخطا مدا والصح جزرا . الم تكن دعوة الكاتب دوما الى تخطي الاخطاء البسيطة وعدم تحويلها الى خطايا قاتلة .. كل ذلك حفاظا على الوجود الثوري الصحيح ؟ وسواء اكانت المسرحية تحمل عنوان « الصح والخطا » كما اراد الكاتب ام اننا حملناها عنوان « التنين » فاننا بالنتيجة متسائلون : التنين .. صح ام خطا ؟ التنين يبرز مع الخطا حتى يغدو صحيحا . على هذين القولين ينسج الكاتب خيوط مسرحيته .

لقد اجاد في ابراز محاولة العسكر الهيمنة علــى الامور

السياسية وذلك من خلال شخصية الضابط الحديث العهد في الحزب.

واجاد في ابراز الصراع التقليدي بين الرئيسين : الجديد والقديم على انه صورة مصغرة للصراع بين مطلق حاكمين يتناوشان وفق سنة الطبيعة.

وابرزت عقائدية سلام الحزبية ابرازا رائعا تمثل في اصراره منذ البدء على حملته التصحيحية بدءا بالمسؤولين ومرورا بالرفاق العاديين ، انتهاء عند التنين الذي سقط صريعا امام سيفه ورصاصه .

نحن اذن، في المشهد الثالث من الفصل الثاني — امام الروعة المتجلية عند قمة المسرحية .. الموقف ماساوي مؤثر الحوار بين سلام والتنين .. اغتيال سلام غدرا . هذا المشهد يسيطر فيه سلام والتنين على ثلثي محاوراته فيسجل اقصى درجة جذب جماهيري بصرا وبصيرة . ويشهد المشهد كذلك ظهور خمس ملائكة عنصرا جديدا اشتهرت به المسرحية الغربية القديمة ولم تتداوله كثيرا المسرحيةالعربية.

ومن ضمن المشهد الثالث نفسه ، يمكننا اعتبار « مخاطبة سلام للتنين » ، اجمل مشهد مسرحي عامة لما فيه من تبادل شعوري بين ما يفترض استعداءهما لبعضهما مؤكدين بذلك صحة مقولة الكاتب بأن الخلافات يمكن ان تحل بالحوار مع الاصدقاء .. وحتى مع الاعداء . ويبدو انه حول الكثير على هذا الجزء من المسرحية حتى تجرانا على اعتباره قمتها عقدتها وحلها وكل ما سبق من فصل بمشهديه والفصل الثاني بمشهديه الاولين : اعتبرنا تواتر وتالي السواقي حتى تبلغ المجرى الواحد بزخمها الداني من القمة

حيث يصبح للتحدي طعم لذيذ .. وفي الاعتقاد ان الكاتب قد ربح التحدي ، فجاءت النهاية رائعة في تقديمها حلا وان كان يثير المشكلة الاساسية من جديد .. اما قلنا : ان الخطأ يطغي والصح يتراجع، فلبنتبه كل الى هذه الحركية المتحدية لقدرة الانسان العربي على التصدي للتنين ، فهل يثبت الانسان العربي جبروته وتصديه ؟

وكلمة اخيرة : تنبيها على خلفية الكاتب يوم كان طالبا يدرس في كلية بيروت ومن ثم انتقاله الى جامعة بيروت الاميركية في مطلع الاربعينيات .. تلك الدراسة في التوجه نحو الادب الغربي باهتمام الى جانب الادب العربي، عبات جعبة الكاتب الشاعر كما ل ناصر بخبرات وافرة عن الادب المسرحي الذي لايمكن دراسته من دون الوقوف مع شكسبير المسرحي طويلا . ففي المشهد الثالث من الفصل الثاني حيث تظهر خمس ملائكة«يرتدين اقنعة شفافة وعلى رؤوسهن الريش والتيجان .. وينشدن اغنيات الحب مشتركات » . يقابل هذا عند شكسبير مسرحيته «ماكبث» ظهور ثلاث ساحرات يلفهن السواد تصاحبهن موسيقى صاخبة كانها الرعد القاصف . وهن عند شكسبير يتنبأن بكلمات غامضة مبهمة تحير العقلاء وكذلك عند كمال، الملائكة يتنبأن لسلام بمستقبله الغامض المحير : « وعندما تدق ساعة الزوال — معلنة اشارة الرحيل — ستمتطي اشرعة الخيال — وتقتحم المحال » وفي حوار بينهن « سيموت ليحيا — حرا كالاحلام — ولينقل اسرار الدنيا — للارحام وهكذا يتركن سلام حائرا مشدوها . فما معنى قولهن له : ستموت لتحيا ؟ بل ما معنى كل كلمة تفوهن بها ؟ أيكون كمال ناصر بهذا متاثرا بشكسبير ؟ نكاد نجزم في مذهبنا هذا الذي يزينه لنا التوافق بينهما في أن ساحرات Witches شكسبير كن

ينطقن شعرا، ومثله فعل كمال بان انطق الملائكة، وحدهن: شعرا ؛ ومن مظاهر التأثر ان صوت التنين المزمجر كتأثير خارجي على بعض محاورات المسرحية شبيه بأصوات الرعد المرافقة لدخول الساحرات الى مسرح شكسبير .. هذه التأثيرات الموسيقية ضرورية لاضفاء الرهبة المنشودة حتى اننا نذهب الى الابعد حين يتخيل «سعد» ان كل كلمة تلفظ امامه فيها احرف من اسم «سلام» تثير في نفسه «سلام» نفسه ، ففي الامر مشابهة لمشاهدة «ماكبث» طيف ضحيته القتيل اينما جلس او التفت .. للهاجس في المسرحيتين حضور فاعل ولو اختلف المفهومان حبا وكرها .

يمكن القول ان كمال ناصر قدم لنا مسرحية جميلة .. يمكن اعتبارها سياسية ، أو اجتماعية .. او تحويرها الى اي وجهة يرمي اليها موجه يسعى للافادة من مضمونها مع تحوير مناسب في بعض الفاظها ، وحتى بعض شخصياتها فتلبس لكل حالة لبوسا . لسنا نقول بكمال المسرحية، ولكنها عمل جيد مؤكدين انه لو سنحت له الظروف الحياتية والادبية ان ينتج اكثر، لعاد حتما الى تلك المسرحية يعمل فيها فصلا ووصلا ، ذلك ان كتابة المسرحية فن على من يلجأ اليه ان يتقنه بالممارسة المتصلة . نلاحظ اذن، ان كمال اتجه الى هذا الفن للتعبير عن قضايا لايرتاح اليها شعرا كون المسرحية وعاء انسب واشد طواعية للتصرف بعيدا عن قيود الشعر التي قد تحدد من انطلاقات الخيال والشعور . لسنا نعني بقيود الشعر معنى القيود الحرفي لاننا نعتقد ان اعظم شعراء العالم قد صدرت لهم اعمال غير شعرية ، اما كان بمقدورهم ان يعبروا عن قضاياهم شعرا ؟ لسنا نريد للشاعر ان يقيد نفسه بنظام هو ابتدعه وما ابتدعه النظام، لكيلا يقع الطائر الغريد في مثل ما يقع فيه الحرس الامبراطوري — الملكي

الذي تتقزز ميناه وتتجمد دماؤه ويرتمي ارضا، من غير ان يسقط حرف من « بروتوكول الحراسة » . الشاعر بروحه، وراحته بروح حروفه لا باشكالها المزركشة .

وهكذا كان كمال المسرحي . ارتاح الى المسرحية نسجل احساساته . وكتب مسرحيتين اخريين، نسأل الله ان يلهم حابسيهما أن ينشروهما أو يخرجوهما من الظلمات الى النور لكي يكون الحكم على الكاتب اقرب الى المنطق والصواب ، كان انسانا طيبا رقيقا فلنوفه حقه ولنحبه بقدر ما أحب شعبه وثورته .

مسرحية المسح والخطأ ـ كمال ناصر

(التنين)

الفصل الاول

المشهد الاول

يفتح الستار عن غرفة مؤثثة تأثيثا عاديا ـ مكتب الحزب ـ على حائط الشعار للحزب الحاكم ٠٠ العدالة ـ المساواة ـ الحرية ٠

سلام : واخيرا ٠٠ اخيرا وصلنا ٠٠٠

سعد : كان لا بد ان نصل ، فقد بذلنا المستحيل : وكنت دائما اكثركم تفاؤلا ٠٠كنت اعلم ان من يستطيع ان يتواري مدة سنتين ، لا بد ان يدفعه اليأس والسأم الى تخطي الحدود ، ولو اضطر ان يسير على قدميه عشرة ايام كما فعلنا ٠٠

محمد : ترى هل عرفوا هناك ٠٠ وهل حاولوا ان يتبعونا ٠٠ لم اكن اخشى الا من كلاب الاثر ٠٠ تجربتي معها كانت شنيعة قبل عشرة اعوام ٠٠ (يكشف عن ساقه)

لقد غرزت انيابها في ساقي ، فانسفت كالكلب امامها حتى تسلمني اول شرطي على الحدود، وقذف بي الى السجن ..

سلام : متنهدا (المهم) .. اننا وصلنا .. وصلنا اخيرا .. وصلنا الى مدينة كريمة، تستطيع ان تحتوينا برفق .. وتتحمل افكارنا ونشاطنا، وتعطينا املا جديدا في الحياة والكفاح ..

سعد : لقد كانت دائما .. ومنذ فجر التاريخ منارة ومعقلا للجهاد . ومن حظنا اننا نجونا للاستقرار فيها ومتابعة نشاطنا.

محمد : ورفاقنا .. هل اتصلت ياسلام باحد منهم. هل اعلنت عن وصولنا ..

سلام : اجل .. اجل لقد فعلت، وبالرغم من المحاولة لم اجد احدا من الذين تربطهم بنا صلة خاصة وزمالة قديمة .. الا انني استطعت ان ابلغ بعض المسؤولين وقد طلبوا الينا ان ننتظرهم هنا في المكتب على ان يتصلوا بنا في الوقت المناسب ...

سعد : اوه .... اوه ...

محمد : لماذا تتاوه .. يجب ان تكون سعيدا.

سعد : وموتانا الذين خلفناهم وراءنا .. والرفاق المعتقلون المعذبون .. ان اصواتهم مازالت تطاردني من

وراء القضبان واكاد اسمعهم من خلال الرسائـل التي كانوا يبعثون بها لنا ونحن مختبئين ، صائحين قائلين ·· تحركوا ·· افعلوا شيئا·· انقذونا · غيروا الواقع·

محمد : وحازم ماذا جرى له ·· ما هي اخباره ·

سعد : لقد انقطعت عنا منذ شهرين ·· واخر ما سمعت انه اصيب بالسل نتيجة لسوء التغذية ·· ولقد حاول ان يجتاز الحدود·· ولكنه كان ضعيفا منهكا ·· فسقط صريعا بين اشداق كلاب الحراسة ·· وبعـد ·· لا ادري ·· لا ادري ·

سلام : كفوا عن هذا الكلام · دعوا الموتي يدفنــون امواتهم ·· نحن ندفع الضريبة وعلينا ان نتحمل ·· ونقدم مزيدا من التضحيات في سبيل النصر ··

سعد : غريب ·· ياسلام ان يصدر منك مثل هذاالكلام ·· وانت بالذات ·· لله ما اكثر تعدد شخصياتــك ·· انت الرقيق العاطفي الذي لاتستطيع ان تسحق ذبابة ·· انت الذي تترقرق عيناك بالدموع اذا رأيت طفـلا صغيرا ·· انت الذي تتغير ملامحك اذا رأيت شيخا يدب على عصاه في الشارع ·· تتحدث اليوم بهذه القسوة·· فتقول دع الموتى يدفنون امواتهم ··

سلام : يا محمد ·· ياسعد ·· انا متفائل · متفائـل ·· انا اعيش بالامل الكبير الجديد، ولولاه لانتحـرت منذ امد طويل ·· من كان يظن ويحلم اننا بهذهالسرعة وضد جميع الظروف نستطيع ان نفجر الثورة ··ثورتين

يا سلام ·· هما حديث الدنيـا ·· حديـث العالم ·· افكارنا · مبادئنا التي مات واستشهد من اجلهـا الرفاق وتعذبنا كلنا في سبيل انتصارها تتحقق ··هكذا ·· هكذا ·· دفعة واحدة · تصوروا اننا سنتمكن من بعد وصلنا الى الحكم، فننصف المحرومين والمعذبين في الارض ونفرض العدالة ونمنحها للجميع · افرحوا ايها الرفاق ·· افرحوا ، انا متفائل ·

يسمع من خلف المسرح صوت وحش ·· كبير مرعج ـ صوت التنين ـ يتردد اكثر من مرة ··

سعد : يا الهي ·· يا الهي ما هذا ؟ ما هذا الصـوت الكريهالقاسي ·· سلام ·· سلام انقبض صـدري ·· احس واشعر بالتشاؤم ·

(الصوت من جديد)

محمد : يا للهول · كم هو عنيف وقاس احس انـا ايضا بالانقباض ··

سلام : رفيقي، لاتنزعجا لعلها احدى التجارب التي تقوم بها الدولة على احدى الطائرات النفاثة التـي ابتعناها مؤخرا من احدى الدول الصديقة ··

(الصوت بوحشية اكبر ·· يدخل رجل كهل متهدم ، ثيابه رثة يحمل عصا بيده يتكلم بشكل هستيري)·

الكهل : ضللت طريقي ·· ضللت طريقي ··انقذوني

يا اخوان ‥ خبئوني ، من اجل الله ‥ والله لم افعل شيئا ، انا رجل مسكين ‥ مسكين ‥ اولادي الثلاثة ماتوا ‥ والرابع في طريقه الى الموت ‥ انا اعلم ‥ انا اعلم ‥ انقذوني ‥ خبئوني ‥

سلام : يا عمي الشيخ ‥ يا عماه ‥ هدىء نفسك ‥ تمهل يا عماه ‥ ماذا جرى لك ؟ ما الذي ازعجك؟ماالذي اخافك ؟ انت هنا في مكان آمين ‥ لا بأس عليك ‥ لاخوف عليك ‥

الكهل : (مرتجفا وبصوت متهدج) ‥ التنين ياسيدي ‥ التنين ‥

سلام : اي تنين يا رجل ؟ اي تنين ؟ عم نتحدث ؟

الكهل : التنين يا سيدي ‥ اللعنة ‥ اللعنة ‥ تطاردنا ‥ تلاحقنا ‥ لن ننجو منها ‥ الاموات يقبرون الاحياء ‥ والاحياء يقبرون الاموات ‥ عناق ‥ عناق مستمر بين الموت والحياة ‥ اختطاف ‥ اغتصاب سريع ‥ لن يجدي شيئا ‥ لن يجدي شيئا ‥ لن يجدي شيئا ،

سلام : يا رجل اهدأ ‥ امجنون انت ؟ ‥ ما هذا الهذيان ؟ ما هذا الكلام الغريب الغامض ؟

الكهل : سيدي ‥ سيدي لست مجنونا .. ولست اهذي .. انا عاقل . كنت اعقل انسان في المدينة . وربما لازلت ‥ كنت فيلسوفها وشاعرها وخطيبها

قبل ان تحل عليها اللعنة، لعنة التنين ·. ولكنها ربما تستحق ·. ربما تستحق ·· المدينة الجاحدة ·. المدينة القاتلة .. قاتلة الغزاة والفاتحين والمصلحين ووو ··.

محمد : الا تخجل يا رجل ؟ الا تخجل ان تقول هذا عن مدينتك العظيمة ·. مدينة التاريخ والمجد ؟

الكهل : لا ياسيدي ·. لست اخجل ·· انا اعرفها اكثر منك · ولدت فيها انا ووالدي واجدادي وابنائي. وماتوا جميعا ميتة ابنائي ·· ويلاه .. وسأموت مثلهم ايضا ·.

سلام : ايها الشيخ المحترم ·. ايها العم ·. لم افهمك بعد ·. انا اعتذر لك، فلعلك لست مريضا كما خيل الي اولا ·· اجلس يا عم ·· واهدأ ·· وافتح صدرك وحدثنا .. ليس عندنا ما نعمله ·· نحن في الانتظار وقد طال .. طال علينا ·· فرحب بنا نحن من اخوانكم وابناء عمومتكم فتحد ثالينا ·· (يعطيه سيجارة ويشعلها) .

الكهل : (يمتص السيجارة بيد مرتجفة) ··يا ابنائي .. واسمحوا لي ان اخاطبكم بهذه التسمية انتم على مايبدو من اهل العلم والمعرفة ·· كلكم يعرف ويسمع عن هذه المدينة .. مدينة التاريخ والامجاد والحضارة منذ اشرق للحضارة فجر على هذه الربوع· وكلكم يعرف ·. ان هذه المدينة تعرضت للفتح والغزوات الكثيرة وكلكم يعرف انها كانت تستسلم

حينا ٠. وتقاوم حينا اخر ٠٠ ترضى بحاكمها.. ثم تقتله٠٠ تحبه وتقربه وطالما نافقت له ثم عادت لتغدر به ، وتطرده اذا لم تتمكن من صلبه وقتله.. كل هذا يا ابنائي في التاريخ ٠. في التاريخ القديم ٠. وكنت انا احد العلماء والمؤرخين ابرر كل ذلك واسجل للتاريخ جميع هذه الاعمال البطولية التي كانت في النتيجة تطرد الغزاة والفاتحين .٠

محمد : (بحماس) نحن معك يا عم ٠٠ نحن معك، تفسيرك سليم ٠٠ هذا دليل الحيوية والوطنية السلمية ٠٠ لقد تخلصت المدينة من الفاتحين ٠٠ اعني الفاتحين في تاريخها القديم، والحديث يا عم٠.

الكهل : (مقاطعا) دعني اكمل يا ولدي ٠٠ دعني اكمل .. لقد قلت لكم انني بررت وفلسفت جميع ما حدث ٠٠ ولكنني اليوم وبعد ان اتصل القديم بالجديد، وكررت الاحداث نفسها بشكل متسلسل منطقي٠. بدأت اشعر أنني كنت على الخطأ وان هناك شيئا ما خارج قوة هذه المدينة يحركها، ويتحكم في قدرها.. وقد جاءت الايام لتجسد اللعنة بشكل عملي ، فتؤكد وجهة نظري ٠. لقد عشت لاراها تتجسد ٠٠ عشت لاراها ٠.

(صوت التنين الصارخ يتكرر .٠)

الكهل : يا الهي ٠. يا الهي ٠.

سلام : اكمل يا عم ٠٠ اكمل هذا صوت طائرة نفاثة ٠. فلا تخف لا تخف ٠.

الكل : نفاثة ٠٠ طائرة نفاثة .. اسمع يا ولـــدي لست مجنونا دعني اكمل ٠٠ دعني اكمل ٠٠

محمد : دعه يكمل يا سلام .. ان حديثه مسل للغاية ٠

الكهل : في العصر الحديث بدت الامور في المدينـــة وكانها تاخذ وضعها الطبيعي، فكانت تجتر ايامها، وتقاتل وتكافح ضد الاجنبي الذي يتحكم فيها، وكـان هذا ايضا طبيعيا ومشرفا .٠

سعد : اكمل يا عم..

الكهل : وفجأة ماتت للمدينة شقيقة ٠٠ قتلـت ٠٠ ذبحت غدرا .٠

محمد : وهل للمدينة شقيقة يا عم ؟

الكهل : اجل يا ولدي ٠. شقيقتها التوأم التي ولدت معها في اللحظة واليوم نفسهما وان كانت اضطـرت لهجرها مرغمة بحكم الفقر والجوع والمرض ،فاستجدت الرزق في مستنقع الحر .٠ ولكن جذورها من جذورهـا ، وروحها من روحها .. وشمسها .٠ وهواؤها ٠٠

سلام : اكمل ياعم بدأنا نستوعب افكارك والفاظـك الرمزية ٠٠.

الكهل : واصيبت المدينة بذعر وهلع وخوف والم .٠ حاولت ان تنقذها ٠٠ اه هكذا تهيأ لها ٠٠ ولكنها لـم

تتجح .. راتها تذبح امامها وهي عاجزة حتى عن الموت معها .. فكفرت بنفسها، وكفرت بحكامها الذين كانوا اعجز واضال من تفسير الامور لها، او الدفاع عن وجودهم ..

سعد : هذا طبيعي يا عماه ومقبول تاريخيا ووطنيا.

الكهل : صبرا .. صبرا يا ولدي .. الامور لم تقف عند هذا الحد ..يا ليتها .. يا ليتها وقفت.. انتظروا .. انتظروا حتى اشرح لكم كيف تعانق الماضي والحاضر ، وكيف تجسدت اللعنة واستفاقت من جديد.

محمد : بسرعة يا عم .. انك تذهلنا وتدهشنا..

الكهل : قلت لكم ان المدينة ثارت، ومن خلال قواها الفاعلة استطاعت ان تضرب وتشتت حكامها، رافعه شعار الثأر واحياء الشقيقة القتيلة محملة الحكام والمسؤولين مسؤولية الاسهام في قتلها . ونجح التغيير وطاردت المدينة من اقصاها لاقصاها عقدة الشعور بالاثم تجاه الشقيقة القتيلة، والاحساس العميق بمسؤولية الحكام في ذبحها .. ونشأ عن هذاالاحساس عقدة اخرى هي عقدة التغيير بعد ان نجح التغيير. فارتبط الماضي بالحاضر في اللاوعي وتركزت الاماني والاحلام الصادقة من اجل الانقاذ في التغيير، وبالتالي في الحكام والمسؤولية فضخمت الاخطاء، وكثرت التهم واستعجلت الامور .. كل ذلك عن صدق وباسم المصلحة وباسم الانقاذ التغيير يا سيدي ، لقد سيطرت فكرة

التغيير على كل من كان في الحكم واصبح ليس في الحكم . وانحاز كل من ليس في الحكم الى صفوف اعداء الحكم .. وابتدأت الدوامة .. الدوامة ياسيدي.

سلام:ولكننا لم نفهم كيف ارتبط الماضي بالحاضر.

الكهل : لقد حاولت ان افسر لكم ذلك . ويبدو انني فشلت .. او انكم لم تقدروا على الاستيعاب. ولكنكم سمعتم التنين يئن ويتوجع ويطلب المزيد .. ولعل في هذا المثل الحي المتجسد ما يسهل لكم فهم الارتباط بين الماضي والحاضر .

سلام : ياعم .. ياعم ما هي قصة التنين هذه التي تتحدث عنها، وما علاقتها بكل الذي ترويه..

الكهل : التنين يا ابنائي هي اللعنة التي انزلتها بنا الحياة عندما رأتنانستهتر بها الى هذا الحد .. اوجدته ليذكرنا بجريمتنا الكبرى في الصراع اللا واعي الذي يدمر المدينة ويجتاحها ويقتل اطفالها ورجالها ونساءها ..وقد اوجدته الحياة قويا قاسيا عنيفا لا يستسلم بسهولة ، ولا يقتل بالمدفع ، ولا يتراجع ولا يختفي الا اذا وجد من يعرف كيف يروضه ويسوسه .. فقد يذهب او يختفي او يموت .. انه لعنة ولكنه رمز .. جائع .. مفترس . لايتغذى ولا يترعرع الا بالصراع، يحارب في كل لحظة وعلى اكثر من جبهة، ويتلهى بالوجبات الصغيرة على مدار السنة .. ولكن له وجبة رئيسية كبرى يفترسها في كل عامين او ثلاثة بلاموعد وبدون اذن ينقض .. ويفاجىء .. ويأكل .. ويصرخ

ويصرخ .. ويطلب المزيد .. ولقد مر على هذه المدينة ما يزيد على السبعة عشر عاما .. ومنذ قتلت شقيقتها وهي تعاني من لعنة التنين .

سلام : وهل تعي المدينة عليه كل الوعي يا عماه.. وهل تحاول ان تقاومه .

الكهل : واعية وغير واعية .. لقد اختلطت الامور .. فشعب المدينة منزلق في الدوامة .. يخاف منهــا ويخشاها .. ولكنه يعيشها، ويسهم في توسيعهــا، فالشعب من المدينة، والمدينة من الشعب .. اختلطـت الامور يا ابنائي .. يتنكرون لها . . ويبتدعونها..

سعد : وانت يا عم هل لك دور ورأي في كل هذا .

الكهل : قبل عشرة اعوام .. كنت شابا .. نضـرا قويا مؤمنا .. رفعت راسي ذات يو موقلت رأيي فـي كلمة نشرتها .. ضحك الكثيرون مني .. واتهمـت بالجنون والجبن والانحراف .. ولعل التنين استمع الى هذه النبرة .. فسلط انواره المحرقة علي .. فاحترقت .. واخذت خطأ وظلما الى السجن، وخرجت فاقــدا لرجولتي . لقد خصيت .. هل تفهم .. لقد خصيت .. وصدف ان ابنائي الثلاثة كانوا في الدوامة .. فشفعوا لي ولم اقتل .. ولكنهم قتلوا جميعا يا سيدي ..كلهم .. اما رابعهم وهو كل ما تبقى لي .. فانا انتظره كل يوم بين المقابر الى جانب قبوراخوته حيث اقيم واسكن .. التنين يا سيدي التنين ..

سلام : هل تقصد ان تقول ان التنين حقيقة واقعة وانه موجود ..

الكهل : في جنون ٠٠ ها ها ها ها ٠٠ (ينظر الــى الافق بهدوء) موجود ٠٠ احم ٠٠ انه موجود ٠٠ هنــاك وعلى ظهر الجبل القاسي العالي المطل على المدينــة يجثم التنين، منحوتا في الصخر اثناء النهار كانه قطعة من الجبل ٠٠ ولكن الذين يقتربون منه في الليل يشهدونه وقد تحول الى كتلة ضخمة من اللحم والعظام والعضلات ٠٠ عيناه عيناه يا سيدي تشعان بالنار ٠٠ رئتـــاه تنفثان اللهب الحار ٠٠ وقبضتاه تضربان راس الجبل فتقرع الطبول ٠٠ اما صوته فقد ٠٠ فقد استمعتم اليه٠

محمد : وهل يعرفه اهل المدينة وينظرون اليه ٠٠ وهل حاولوا قتله ٠

الكهل : يسمعون بالاسطورة فيما عدا الحكـــــام انفسهم دائما ينسون وجوده ٠ وهكذا حاول البعــض القليل جدا ان يقتله ٠٠ ولكنه فشل ودفع الثمن٠٠ فتعلم كل الناس واخذ عبرة بالذين حاولوا ٠٠ ورأوا انه مــن الافضل والاسلم ان يقدموا له قرابين التغيير فعاشوا، كما اخبرتكم ، الدوامة ٠٠ عاشوها واستمرأوها٠٠

(يسمع صوت شخص سكران من الخارج يصيــح بسكر وعلى مهل وبتهكم : انقلاب ٠٠ انقلا بــ يدخــل الى المسرح) ٠٠

السكران : انقلاب ٠٠ انقلا بيا اخوان ها٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ التنين يحاول ان يفترس احدى وجباتــه الكبرى الرئيسية ٠٠

سلام : ماذا تقول يا رجل ٠٠ ماذا تقول ؟ هل انــت

مجنون ؟ التنين ايضا ؟؟

السكران : بكلمات متقطعة ٠٠ مجـ نـنـ نون أ٠٠نـ٠٠ا ٠٠مجنو٠٠ون٠٠ لماذا هل انتم خائفون ؟ انقلاب واحـد يخيفكم ٠ ها ها ها ٠٠ نحن نتغدى ونعيش على هـذه الانقلابات ٠٠ حتى لقد فارقنا الخوف ٠٠ لقد كنت اسير في الشارع بعد اعلان مع التجول (سلام يقوم الـى التلفون)

سلام : هالو ٠ هالو ٠٠ لا جواب ٠٠ لا جواب ٠٠ الخط مقطوع ٠٠

السكران : ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠

سلام : تأدب ايها الاحمق ٠٠ قل ماذا تعرف ؟ مـن الذي قام بالانقلاب ؟

السكران : انا ٠٠ طبعا ليس انا ٠٠ اعرف ٠٠ لا اعرف شيئا، وكيف لي ان اعرف مشيئة التنين؟ التنيـن يحركهم جميعا٠٠

محمد : وهل انتصر اصحاب الانقلاب ٠٠ ما هـي معلوماتك ٠٠

السكران : انتصروا ٠٠ ما معنى انتصروا ٠٠ هـذه لفظة محذوفة من قاموس المدينة ٠٠ هنا لا ينتصر احد ٠٠ هنا فقط ينهزم حكام، امام حكام ٠٠

سعد : الويل لنا ٠٠ لانقع الا مع اصحاب الامزجـة الغريبة ٠٠ ياعماه ٠٠ (ملتفتا الى الكهل) ما رأيـك انت ؟

الكهل : (بتمهل) صحيح ما يقوله الاخ المواطن ٠٠
لقد كان صوت الرصاص يلعلع قبل دخولي ولذلك لجأت
الى داركم ٠٠ ولكن لماذا تهتمون هذا الاهتمام ؟٠

سلا م: كيف تسأل يا عم ؟ كنت احسبك قد عرفت
اين انت الان ٠٠ انت في مكتب الحزب الحاكم ٠٠وهؤلاء
رفاقنا ، اجل رفاقنا ويهمنا امرهم ٠

الكهل : لا حو لولا قوة الا بالله ٠٠

سلام : (بانفعال) قل لي يا عم ٠٠ هل نحـــــن
كالباقين ٠٠ هل سنهزم ٠٠ نحن شرفاء يا عم ٠٠ نحن
اصحاب مبادىء ٠٠ لقد تعذبنا طويلا ٠٠ والحكم وسيلة
بالنسبة لنا ٠٠ نريد ان نمنع العذاب ٠٠ نريد ان نسعد
البشر ٠٠ نحن لسنا كغيرنا ٠٠ انت تعرف ٠٠ لابـــد
انك تعرف ٠٠ انت مؤرخ وعالم ٠٠ قل يا عماه ٠٠ ماذا
سيحدث ؟

الكهل : يا ولدي ٠٠ يا ولدي لاتنفعل ٠٠ بعض الذي
تقوله صحيح ٠٠ كثير منه صحيح ولكن لا تنس انهم
من هذه المدينة ٠٠ واللعنة تطاردهم ٠٠ يا والدي انــا
قانع بنظريتي ٠٠ لم اشكلها عبثا ٠٠لا٠٠لا٠٠مستحيل
٠٠ لن يستطيع احد منهم ان يقتل التنين ٠٠

سلام : ولكن هل ينجح خصومنا يا عماه ٠٠ لم يمــر
على وجودنا غير اشهر قليلة ٠٠ لم يعرف الناس بعد
شرنا من خيرنا ٠٠ يجب ان نأخذ فرصتنا ٠٠ هـــــذه
مؤامرة ٠٠ هذا ليس تغييرا ٠٠ ثم ان مفهومنا للتغيير
لايمكن ان ينطلق من امراض المدينة وماضيهـــــا او
حاضرها ٠ نحن نفهم ضرورة التغيير علمياء لنا فلسفة

ولنا نظرية .. ولنا جهاد .. ونعمل من أجل الانسانية.

الكهل : انهم من المدينة الملعونة، كانت نشأتهم فيها، وسيخضعون لحتمية منطقي .. لامفر .. ولا مهرب ..

محمد : (بغضب) لا تغلق في وجهنا باب الامل .. قل كلمة مشجعة .. ما اشأمك ايها الكهل الجبان..

السكران : (حالما) ايلول . ايلول .. نيسان .. اذار .. تموز .. تموز .. (يعلو صوته) تموز .. - يخرج - .

(صوت التنين محشرجا ضعيفا)

الكهل : عجيب .. غريب .. يبدو انه فشل .. يبدو انه فشل .. انه يئن ويتعذب .. انا ادرى الناس بصوته المنتصر.. ولكنه فشل مؤقت .. مؤقت جدا..

سلام : عماه هل فشل التنين ؟

محمد : سلام .. ماذا دهاك ؟ هل صدقت كلامه الفارغ ؟ هذا كلام اساطير .

الكهل : نعم ياسلام .. نعم .. مؤقتا.. مؤقتا ..

سلام : ولكن هذه فرصة لنا . وسنصمد وسنصلح.. يجب ان نغتنمها ..

الكهل : لن تستطيعوا .. لن يسمح لكم .. انه يتغذى بالتناقض .. انه يعيش عليها..

سلام : نحن لا نتناقض .. نحن لسنا كغيرنا ..

الكهل : حاولوا يا ولدي ، لست اريد تحطيمكم..

انا خارج عن هذا الكون ٠٠ انا لست من هذه الدنيا٠٠ انا ضيف ٠٠ انا متفرج ٠٠ ولكن ٠٠ ولكن٠

سلام : ماذا نفعل، بماذا تنصح ايها الشيخ الوقور؟

الكهل : (وقد نهض من مكانه خارجا وبشكل مسرحي) ٠٠ اقتلوا التنين ٠٠ اقتلوا التنين (يخرج بسرعة) ٠

سلام (لاحقا به الى منتصف المسرح) ولكن كيف ٠٠ كيف ٠٠ كيف يا عماه ؟٠

المشهد الثاني

(تفتح الستارة على المكتب نفسه ٠ سلام ومحمد وسعد، كل منهم ينام فوق احد المقاعد وقد وضع جريدة على وجهه ٠ الضوء خافت يعلو رويدا رويدا ٠٠ يدق جرس التلفون ٠٠ يهرع سلام اليه) ٠٠

سلا م: (باهتمام) الو ٠٠٠ الو ٠٠٠ من ٠٠ من يتكلم؟ لا يوجد احد ٠٠ نحن رفاق من القطر الشقيق ٠٠

(تقفل السماعة)

سلا م: (متابعا) ٠٠ قطع الخط ٠٠ او اقفلت السماعة ٠٠ ترى ماذا يجري ٠٠ ماذا حدث ؟ لقد تأخروا علينا (يصحو الاخرون)

ـ يفتح الباب فجأة ٠ ويدخل اثنان من الرفاق ـ

الاول : يارفاق انتصرنا ٠٠ دحرناهم ٠٠ رددناهم الى اوكارهم ٠٠

الثاني : لم يمت اكثر من مائة منا ومنهم ‥ عملية غدر فاشلة (يتعانقون) ‥

محمد : وهل استسلموا ‥ هل القوا القبض علـــى رؤوسهم ‥

الاول : نعم‥نعم‥ واعترافاتهم رهيبة ‥ولايعرف من حركهم حتى الان٠

سلام : (بصوت منخفض وكأنه يناجي نفســه) ‥ التنين ‥ ربما كان التنين ‥

سعد : (عاتبا) سلام ‥ سلام ٠

الاول : ماذا قال الاخ ؟

سعد : قال الاثمين ‥ الاثمين ‥

(يفتح الباب ويدخل ضابط طويل القامة عريضها برتبة صغيرة ‥ يقف له الجميع ‥ يسلم عليهم ‥ يجلسون ‥)

الضابط : هل انتم رفاقنا الذين وصلتم من القطــر الشقيق ؟ ٠

سلام : نعم وبعد رحلة شاقة متعبة ٠

(الضابط ينظر للرفيق الاول والثاني فيخرجان)

الضابط : ـ يخرج من جيبه دفترا وقلما ـ ارجــــو ان يحدثني احدكم بالتفصيل عن الاسلوب الذي خرجتـم به ، والطريقة التي وصلتم بها‥ ومن رأيتم علـــى الطريق ‥ وكيف وكيف‥

سلام : (بشيء من التهكم) ٠٠ لقد حملت اقدامنا جثثنا ، فوصلنا المدينة ٠٠

الضابط : يارفاق انا لا اداعبكم ٠٠ عندي اوامر مشددة لمعرفة اسلوب خروجكم ٠٠

محمد : هل نفهم من هذا انك تحقق معنا يا حضرة الاخ ؟ انه الرفيق سلام من قادة التنظيم وعلاقته المباشرة بالقيادة والمسؤولين ٠٠ ومهمتك الوحيدة ان تقودنا٠٠

الضابط : انا من المسؤولين ايها الرفيق ٠٠ وقد صنعنا هذا الانقلاب ومن حقنا ان نعرف كل شيء٠٠

سلام : ماذا تود ان تعرف ؟

الضابط : اسماءكم ٠٠ اعماركم ؟ لماذا خرجتم ؟ المدة التي بقيتم فيها متوارين عن الانظار واخيرا كيف انهزمتم، ولم تمنعوا الكارثة بالدم ؟

سلام : ماذا ايضا ٠٠

الضابط : لاشيء ، هذا يكفي ٠٠

سلام : ايها الرفيق الضابط كم مر عليك في التنظيم ٠٠ في الحزب ؟

الضابط : ثلاثة اشهر ٠٠

سلام : غريب ٠٠ وتريد ان تعرف كل شيء في دقائق؟ من ارسلك لنا ؟

الضابط : لم يرسلني احد٠٠ كنت مارا من هنا بدورة تفتيشية على الفارين ٠٠ وكنت قد سمعت بالامـس عن وصولكم ووجودكم في المكتب ٠٠ فقلت لنفسي ادخل واراكم ٠٠

سلام : لترحب بنا٠٠ هل تعرفنا يا حضرة الملازم؟

الضابط : الحقيقة لا٠٠ ولم اسمع باسمائكم ٠٠

محمد : هذا غريب ٠٠ وتدعي انك جزء من الحركة ٠

الضابط : لايضطرني احد منكم الى استعمال حقي في معالجة الموقف ٠٠ يجب ان تتكلموا ٠

سلام : اخجل يا هذا ٠٠ ولا يرتفعن صوتك ٠٠

الضابط : من القطر الشقيق ٠٠ القطر الذي اضـــاع عهدا باسره، نتيجة لخور ابنائه وتردد قياداته ٠٠هه ٠٠ وتتكلمون بصلافة ؟

سعد : يبدو انك مطلع٠٠ وتعرف كثيرا ٠٠ وانك عالم بتطورات الامور عندنا٠٠

الضابط : نحن بالسلاح ٠٠ وبالسلاح وحده قهرنـا بالامس وبالامس فقط خصومنا بينما انهزمتم انتــم في الجولة الاولى ٠٠

سلام: اذا كان يهمك ان تعرف، فاعلم اننا لم نقصد ولا نريد ان نستعمل الســلاح، وصاحب البيت ادرى بالذي فيه ٠٠ فظروفنا قد تختلف عن ظروف كـــل الناس ٠٠ وعلينا تقديرها ٠٠ والبركة فيكم ٠٠

الضابط : (يخرج مسدسه الكبير ويلوح بـه) ٠٠

بهذا السلاح وحده ·· رددناهم ·· واخرسناهم ولـــن تحل الامور الا بالسلاح ·· يلوح بالمسدس في وجوههم ·

سلام : (بغضب) : ضع هذا السلاح في ظهرك ··ان الحزب يعرف متى يجب ان يستعمل السلاح ··

الضابط (متهكما) الحزب ·· ها·· الحزب ··

(يفتح الباب ويدخل ضابط كبير برتبة عقيـد · ينتفض الملازم · ويأخذ التحية) سيدي ·

العقيد احمد : (دون ان يلتفت اليه مخاطبا الرفـاق الثلاثة : مرحبا بكم ·· مرحبا ·· في مدينتكم فيبيتكم (يتصافحون) ·· لقد اتصلت بنا القيادة الان وكلفتني ان اعتني بشؤونكم ريثما ينتهي منع التجول وتستقر الامور ··

سلام : طمئنا ·· هل هناك ما يقلق ؟

العقيد احمد : لا·· لا ابدا ·· غيمة عابرة · دسيسة، مؤامرة حقيرة، سحقناها··

محمد : الحمد لله ·· الحمد لله··

سلام : احب ايها الرفيق العقيد أن اسجل احتجاجي على الاسلو بالسوقي الذي خاطبنا به الاخ المـلازم، وتطفله علينا بدون امر او تكليف ·· من أجل مصلحة الحزب الحاكم يجب ان يلفت نظره الى ··

العقيد احمد : (مقاطعا ، ملتفتا الى الملازم): كلب ·· ماذا قلت لهم ·· اخرج من هنا ·· اخرج ·

سلام : نرجو ان لايكون هذا الاسلوب في محادثـــة

الاخرين متفشيا في صفوفنا • انت تعلم اننا سفحنا حياتنا على مذبح العقيدة نضالا واخلاقا، وسجنا وشردنا عشرات المرات من اجلها ، ولذلك نأمل ان يكون رفاقنا الشباب الجدد منكم بتلك الروحية والمستوى الفكري والاخلاقي •• وانا سعيد بمقدمك لانك انقذت الموقف خاصة امام رفيقنا سعد الذي تعذب اكثرنا جميعا واصيب باضرار جسيمة وروحية من كثرة ما عذب ••

العقيد احمد : هذا ملازم رقيع •• كنا مضطرين الى الاستعانة بامثاله في مطلع الحركة •• لاتأبهوا •• كل يصحح ••

سلام: نرجو ذلك، من صميم قلوبنا••

(صوت التنين مرتفعا بعض الشيء من جديد)

(يدخل الملازم مذعورا « اصوات الرصاص »)

الملازم : سيدي ••• سيدي ••

العقيد : (واقفا) : سنؤمن لكم كل شيء •• والان يجب ان اذهب ••

سلام: ايها الرفيق العقيد •• ما هذا الصوت المزعج•

العقيد : لا حرج عليكم •• صوت الطائرة النفاثة التي نستعملها لمطاردة الخصوم •• (يخرج)

محمد : اذن كان حذرك في محله •• وهذا الصوت طائرة •• لا تنين •• ولا غول ••

سلام : كان حذري في محله !!

محمد : والان ..

سلام : لا ادري .. لا ادري ..

محمد : لماذا انت منفعل يا سعد ؟ ..

سعد : هزتني لهجة هذا الملازم الوقح ..

سلام : لا عليك .. لقد رايت رفيقنـــــا العقيـــد المسؤول .. انه يعرفنا ويعرف نضالنا ..

سعد : اشعر بغربة .. هل هذه الثورة ثورتنا ؟..

محمد : طبعا .. طبعا .. طبعا ..

سلام : طبعا .. طبعـــــا .. طبعا .. لماذا هـــذا التشكك ؟..

سعد : والتنين ؟

سلام : (متسائلا) .. التنين ؟

سلام : (بصياح) : ان كان موجودا .. فسأقتله .. اقتله .. اقتله ..

(يصرخ التنين)

ـ يسدل الستار ـ

(الفصل الثاني)

ـ المشهد الاول ـ

المقدمة : (صوت اطلاق نار) ٠

(يفتح الستار عن المنظر نفسه في المشهد الاول من الفصل الاول ، مكتب الحزب ٠٠ الشعارات نفسها ـ محمد ، سعد زياد ، وعادل ـ) ٠

محمد : لقد فعلها المجنون سلام ٠٠ ما كنت اعتقد ما كنت اعتقد ٠٠

عادل : تصرف اهوج ٠٠ بحاجة الى تفسير ٠٠ تصوره تصورا ٠٠ هكذا وبكل بساطة ٠٠ وبكل هدوء مشى نحو المنصة واطلق النار عليهم جميعا ٠٠ واحد٠٠ اثنين ٠٠ ثلاثة ٠٠ ستة ٠٠ ست رصاصات ، ولو لم يلقوا بأنفسهم جميعا تحت المنصة لقتلوا جميعا ٠

سعد : ربما كنا انتهينا ٠٠

محمد : سعد ، ما هذا الكلام ؟ انت تعرف ان القتل الفردي لا يحل الامور ٠٠ بل يعقدها ٠

سعد : هذا قتل جماعي (يصمت قليلا) ولكن الذي لم اكن لاصدقه ٠٠ ان سلام يفعلها سلام الرقيق ،سلام

الذي لم يستطع مرة ان يقتل نحلة وقفت على يـده فراح ينظر اليها ، ولما سألناه عن تردده في قتلها قال: اريد ان اعطيها الفرصة ٠٠ وراح ينفخ عليها مداعبا ٠٠ فقرصته ٠٠ هل تذكر يا زياد هل تذكر ؟٠ انت صديقه وقد عشت معه مثل هذه الحماقات ٠٠

زياد : لست ادري ماذا اقول ٠ ٠انا اعرفه ولسـت اعرفه ٠٠ اعرف كل الخير الذي فيه ، وقد عشت معـه جنونه وأفكاره ٠٠ ولكنني لم اكن متأكدا من أن هـذه النزوات يمكن ان تتحول الى شر ، او الى عمل كالذي قام به ٠٠ سلام يقتل ٠٠ سلام يطلق النار ٠٠ لعلهـا نوبة جنون ٠٠٠

سعد : (بانفعال) انني في الحقيقة استغرب منكم هذه التعليقات ٠ لم يكن يخفي سلام عنـا جميـع وساوسه والامه ٠٠ لقد رأيناه وسمعناه اكثر من مـرة يتوعد ويتهدد ، لماذا لا تصدق الناس دائما ؟٠ اليس في هذه الدنيا من يحاول ان يجسد افكاره بالعمل ، وان يترجم اقواله بتحقيقها ؟ كلنا يعلم ان سـلام كان يعاني مثلما نعاني حتى الموت ولكنـه كـان اشجعنا ٠٠ ونحن ٠٠٠٠

محمد : جبناء ، تريد ان تقول اننا جبناء ٠٠ ارجـو ان لا تخجل او تجبن عن التصريح بأفكارك العظيمة في الاجتماعات الرسمية ٠٠ ان سلام مريض ومجنون وهذا عمل طائش ٠٠ ان دم رفاقنا المسؤولين حتى عـن الخلافات والمهاترات تجمد على ظهر المنصة ٠ وقـد اتخذ قرار بعدم محوه ليبقى شاهدا على جريمة سلام

الفردية وحبه للظهور ·· وستطارده لعنة الدم هـــذه حتى في قبره ··

زياد : (في تأوه) لا اعرف ·· لا اعرف ·· ولكنــه فعلها ·· فعلها ·· قل يا محمد هل القوا القبض عليه؟· اما زالوا يطاردونه ؟ يا ترى اين اختفى ·· كيـــف استطاع ان ينجو بنفسه ؟·

سعد : شجاع والله شجاع ، لقد رأيته كالنمر يقفز من مقعد الى مقعد ، يطلق الرصاص ، ويصرخ بأعلـى صوته : ادفعوا ثمن خلافاتكم ·· كونوا عبرة للاجيال·· سأقتلكم وأقتل التنين معكم ·· والغريب يـــا اخوان انني سمعت في هذه اللحظة صرخة داوية تشبه القهقهة وكأنها تخرج عن حيوان مفترس ·· هــــل سمعتم ··؟؟

زياد : وهل سمعت انت ؟· اقسم بشرفك ، سعــد ماذا دهاك ؟

سعد : ماذا دهاك ؟

سعد : اقسم بشرفي ومعتقداتي ·· يا رفاق انـــا رفيقكم ·· لست مجنونا ·· لقد سمعت (بصـــوت مرتفع) والله العظيم سمعت ·· وارتعدت فرائصي··

عادل : (بتهكم) ·· جميل ·· جميل كنا بواحـــد صرنا باثنين ·· يا سعد اعقل ·· اتزن لا تجعلن احدا يسمع هذا الكلام ·· ماذا يقول عنا رفاقنا في القطر ، علينا وبالرغم من وجودنا في بيتنـــا ان نحرجهـــم كثيرا ·· صوت التنين هذا خرافة ·· خرافة نرفضها·· ولا يجوز ان نتحدث بها ·

زياد : (متاوها واقفا) يا ترى اين سلام ؟ وما نقول لرفاقنا بعد قليل ؟. الرئيس القديم .. والرئيس الجديد .. لقد ساوى بين الجميع .. اطلق الرصاص .. اطلق اطلق .. ليتني صدقته في اخر مرة ..

محمد : ماذا تحدثتما في اخر مرة يا زياد ؟

زياد : الا تعرفه يامحمد ... ازالة الخلاف .. الحرية للجميع .. المحبة .. التعاون .. الانفتاح .. فهم الظروف الموضوعية .. ولكنه بالفعل هدد ، واستمر كعادته وطلب الي ان اساعده واخوض الى جانبه معركة ..

سعد : أي جريمة في ان يتحدث في هذا كله .. الا نتحدث نحن .. الا نموت في اليوم الف مرة .. لماذا لم تستجب له يازياد ؟ .. ان صدقه يؤذينا ويعريك .. كنت تستطيع ان تقول لنا .. فربما كنا ساعدناه .. وفعلنا شيئا من اجله ..

زياد : كنت في الفترة الاخيرة لا استطيع ان اسدي له نصحا .. كان يشك بي .. فلا انا ولا انتم مثله ولقد قلت له هذا الشيء ، واكثر ما اخشاه ان يتحول الى خائن اذا تمكن من النجاة ..

عادل : وكيف نخشى ذلك ؟ . لقد تحول الان بالفعل

زياد : (بانفعال) لا ياعادل .. لا لم اقصد ذلك ..

سعد : وماذا قصدت .. وكيف يتحول انسان وطني

متطرف مؤمن صادق الى خائن ..

زياد : ارجو ان يستوعب الرفاق .. وانني انما انقل منا افكار سلام نفسه ، لطالما حدثني وهو في قمـــة انسحاقه ، نتيجة للاخطاء والهزائـــم والنكســات المتوالية التي نصاب بها ، أن الانسان بشر ، وطاقته على الاحتمال محدودة .. كان يقول لي : زياد انا بحاجة لان اعود فاحب امتي واؤمن بها كالسابــق . كـــان يحدثني عن التشوهات التي اصابت نفسه من الفشل الذريع الذي يعانيه من فشل الجريمة التي عاشها .. كان يدميه انهيار القيم التي يدعي ويزعم انه عاش كل حياته من اجلها .. كان يقول لي : كيف اعود لاحبوا مثلما كنت افعل بالسابق ؟ كان متعجلا يريـــد ان يختصر فترة العذاب على نفسه وغيره ..

محمد : هذه المشاعر قد تؤدي الى الكفر وليس الى الخيانة .. والكفر مرحلة يمر بها القديسون احيانا ..

زياد : لقد كانت هذه المشاعر والاحاسيس عميقـة عند سلام .. ولكن يبدو انه انتصر .. ياالله .. يبدو انه انتصر .. انتصار الذات .. الارادة . كان يحدثني عن مقدرته في التفوق على ذاته ودفعها للخير للانقاذ في اللحظة الاخيرة ولم اكن اصدقه ..

سعد : يا للهول يا زياد ..يا للهول ..اذن فانت تبرر ما قام به سلام .. وتعتقد ان عمله الطائش المجنون في راي الجميع انما كان عملية انتصار على الذات ..

زياد : انا لا ابرر .. وانما افسر .. سمها كما شئت سم ما فعل هربا .. او اي شيء ..

سعد : (وكأنه في غيبوبة) سلام ··

(يجلسون ويترأس محمد الاجتماع الرسمي ·· تفتتح الجلسة وقوفا ·· تتمتم الشفاه بصوت خافت لا يسمع على المسرح) ·

محمد : نفتتح هذا الاجتماع بتلخيص محضر الجلسة السابقة وارجو ان يتقيد الجميع بالنظام ··

رجاء : اريد ان اوجه من خلال الرسالة سؤالا للمسؤولين اذا سمحت الرئاسة وقبل السير في الجلسة حول قضية الرفيق سلام ومصيره المجهول ·· الاشاعات كثيرة في المدينة ومن حقنا ان نعرف كيف نرد عليها لا سيما ان هناك من يقول انه اتصل باحدى القبائل المسلحة في جنوب المدينة وأنهم يستعدون للفتنة ··

محمد : اعتقد ان الموضوع اصبح من اختصاص الشرطة ولا داعي لاثارته ··

ضابط : (بانفعال) اذا سمحت لي الرئاسة ان أرد على الرفيق صاحب السؤال فاقول ان الموضوع اصبح في ايدي الشرطة بالفعل ولا داعي لاثارته في هذا الاجتماع الرسمي ، فقواتنا تطارده ، وتضيق عليه الخناق وهو كما تعلمون مجرم ، واجبن من ان يتصل لاثارة القلاقل ولا داعي للاهتمام بالشائعات ··

سعد : (منفعلا ومقاطعا) ·· سلام ليس جبانا ، وليس من حقنا ان ندينه قبل محاكمته حزبيا مهما كان تصرفه ···

الضابط : انه مجرم وجبان وكل من يدافع عنه هو من تكوينه ونفسيته ...

(صوت التنين بقوة) .

سعد : .. سلام ليس ....

الرئيس : (مقاطعا) .. نعتبر هذا الموضـــوع منتهيا .. ونعود لقراءة ملخص اجتماعنا السابق ... لقد دار البحث في جلسة الاسبوع المنصرم حول موضوع الحرية ، وكيف نفهم الحرية ، كما ناقش المجتمعــون موضوع التغيير والتحويل في المجتمع المتخلف ، وبالتالي سيطرة الدولة على وسائل الانتاج لتتمكن من توزيــع الثروة توزيعا عادلا يكفل للفرد الكرامة والمساواة .... ولما كثر النقاش حول هذه الموضوعـــــات وكثـــرت التعريفات واحتدم الجدل والخلاف ، ولم يصل الاجتماع الى نتيجة من شأنها ان تضع الخطة النهائية لبنـــاء الدولة ، فقد تقرر تأجيل الجلسة الى اليوم لاستئناف البحث .. راجيا من الاعضاء الاختصار فعلينـــا أنْ نصوت اليوم لنخرج بقراراتنا على الـــــرأي العام ونتمكن من ادارة عجلة الدولة والحكم ..

الرئيس الجديد : لست ارى جدوى من اعادة الحوار . ان الرئيس السابق مصمم على افكاره وارائه ولذلــك فأنا اقترح ان نصوت وننهي الاجتماع ، فعند الرفاق فكرة واضحة كاملة عن موضوع البحث ...

الرئيس القديم : هذه تهمة نرفضها ، وليســـت عندنا افكار مسبقة ففي دستورنا والفكر الذي طرحــه

الحزب الاجوبة على كل الاسئلة المطروحة اليــــوم :
ولعلنا نختلف في تفسير وتطبيق هذه الافكار ، فــلا
ضرورة للمهاترة ، ولنستأنف الحــوار ، ولتنتصــر
الحقيقة ..

ابراهيم : (رافعا يده مستاذنا) وما هي الحريــة
في رأي الاخ الرفيق ؟ هل هي مطلقة كما قلت سابقا ؟

الرئيس القديم : لقد تحدثت في الجلسة الماضيــة
عن معنى اطلاق الحرية ـ ولم اقل انها مطلقة ، فليس
في رأيي ما هو مطلق اطلاقا .. ولم اخف عليكـــم ان
موضوع الحرية كبير وعويص ومتشعب ، وان الفكر لم
يعط اجابة كاملة عن هذا الموضوع وربما تمــر عــلى
البشرية الاف والاف السنين قبل ان يتوضح المعنــى
النهائي لهذه اللفظة لفظة الحرية .. ولكننا وقد آلينا
على انفسنا ان نسهم في تاريخ الحضارة فكريـــــا
وسياسيا فعلينا ان نجتهد في فهم الموضوع ، وننتزع
من معانيه ادقها وافضلها مما يتناسب مع حقيقـــة
مجتمعنا وثورتنا .. وهذا شيء اساسي ..

الرئيس الجديد : هل تعطى الحرية لكل الشعب ..
اجب .. وافصح ؟ لا تتخبأ وراء الفكر وغموضه ؟

الرئيس القديم : لقد ولد الانسان حرا ، الا بالقــدر
الذي حكم فيه عليه بالفناء والعدم فحد من حريته ومن
مهمتنا اسعاده كمسؤولين في مدينتنا واشعاره بأنــه
حر في هذه الفترة الوجيزة الزمنية التي يعيشها .

ضابط : (بصوت مرتفع) غموض . غموضــ ...
نحن في ثورة ...

محمد : الرجاء من الرفيق ان يتقيد بالنظام وليكمن الرئيس السابق ..

الرئيس السابق : انني اعي كل الوعي كوننا في ثورة واعرف ان لهذه الثورة اعداء وخصوما يتربصون ويريدون الاطاحة بها ، ومن واجبنا حمايتها ولكنني اعرف ايضا ان الاكثرية الساحقة من شعب مدينتنا وجماهيرها معنا اذا عرفنا كيف نخاطبه وكيف نداريه، وكيف نعطيه حقه ، ولا نضطهده ...

الرئيس الجديد :نحن مع الشعب ،ولقد قامت ثورتنا به ومن أجله ، ومهمتنا بالفعل اسعاده ، ولا يمكن لاحد ان يتهمنا اننا نعمل ضد الشعب ، ولكن هذا الشعب فئات وطبقات ، بعضها جيد ترتبط مصالحه الحقيقية بثورتنا وافكارنا بالتغيير ، والبعض الاخر لئيم مفترس ضدنا ، يعمل الليل والنهار للقضاء علينا ، ومحاربة ثورتنا التي ناضلنا عشرين عاما في سبيل تحقيقها ، ولذلك فمن حق هؤلاء علينا ، وحق هذه الفئات البائسة ان نضرب ونسحق خصومهم الذين هم خصوم الثورة . ومن واجبنا تغذية الصراع بين هذه الفئات المتناقضة .. ولا حرية لاعداء الشعب ..

الرئيس السابق : لسنا مع السحق في افكارنا ، وباستطاعتنا تذويب هذه الفروق .. لقد تغير العصر ، وللالة والظروف التقنية الجديدة الدور الاكبر اليوم في تقنية هذه الافكار الجادة وايجاد الصيغة للتطبيق دون التنازل عن الافكار الاساسية للحزب ، وبدون

استعداء بعض الفئات التي يمكن ان تجعلها الى صفنا ..

الرئيس الجديد : هذا كلام مشبوه ، ينادي به من يريد بالفعل ان يصفي وان يفني هذه الثورة ، هذه افكار ينادي بها الاستعمار الجديد بعد ان فشلت تجربته القديمة ، ولن يعود علينا مثل هذا المنطق الا بالتخاذل وخسران الفئات الاساسية التي تقف وستقف دوما الى جانبنا .. لقد قلت لكم ان لا جدوى من هذا الحوار ، ان فكرنا القديم قد بلي وعلينا ان نستبدله ..

سعد : عفوا ايها الاخ الرفيق .. ان هذا الاصرار على التهجم على فكر الحزب هو الذي يسيء ويجعل من كلامك موضعا للتساؤل والتعجب .. فمتى هذا الكلام الذي قلته وبهذا الاسلوب المتشنج لتؤكد ثوريتك ، كلام مطروح وموجود في فكر الحزب ولكن ليس بهذه الغوغائية وهذه الحدة .. ولست اعرف ان احدا في حزبنا ينكر وجود فئات عنيفة ضدنا علينا عزلها وتقليم اظافرها ، كما ان ليس هناك من يتشكك بضرورة تملك الدولة لمعظم وسائل الانتاج الاساسية لنتمكن من توزيع الثروة توزيعا عادلا .. ولكننا في بحثنا في موضوع الحرية علينا ان نجد الصيغة المثلى لاشراك الشعب معنا في السلطة ، دون ان نتنازل عن مبادئنا ودون ان نجعل ، حتى خصومه، يشعرون بالغربة التامة في بلادهم . ولقد تكون فكرة تذويب هذه الطبقات ، هي الوسيلة الاصح ، والتعبير الاسلم على الامد الطويل .. ولئن كانت تجربة الدم والعنف نجحت في الماضي فلن تنجح اليوم ..

ابراهيم : ما هو الصح وما هو الخطأ في هذه القضايا الاساسية ‥ لقد استهلكنا سنة ونصف السنة ونحن ندور في حلقة مفرغة ‥ لقد تعطل كل شيء ، ومن حق الشعب علينا ان نجزم وان نحسم وان نقدم له التجربة المثلى ‥ من ؟ من هو الحكم في هذه الامور ؟

الرئيس القديم : انني لا ارى اي تناقض بين افكارنا وفلسفتنا التي نستند فيها الى العقيدة وبين الذي انادي به للتطبيق . ولو التفتنا الى التجارب المعاصرة الجديدة التي تدور في فلك افكارها او نحن ندور في فلكها لوجدنا انها ترفض الجمود النظري وتتكيف بالنسبة للظروف الموضوعية للعصر وللمجتمع ‥

الرئيس : هذا تحوير للحقيقة ‥ ان هذه الدول لم ولن تتنازل عن نظريتها العلمية الاصيلة ‥

الضابط : موضوع طويل ‥ عريض ‥ لقد صممنا على السير . هذا جدل بيزنطي ‥ يضيع علينا الوقت فلنصوت ‥ فلنصوت ‥

الرئيس : هذا تهرب ‥ تهرب من مواجهة الحقيقة واستئثار ‥ ودكتاتورية ‥

(صوت رصاص ‥‥ رصاص)

رجاء : هذا سلام ‥ فعلها ‥ فعلها ‥ الاشاعات‥ تذكروا ما قلت في اول الجلسة ‥

الرئيس القديم : ليته يفعلها ‥ وننتهي من كل هذا العذاب ‥

الرئيس القديم : لقد حاول قبل ايام ·· ووجـــــه رصاصه لكم ·· نحن نعرفه !

الرئيس الجديد : ولماذا لا تقولون انكم كنتم مـــن قصد ومن اراد ؟ سلام ثوري ··

الرئيس القديم : ونحن ثوريون وليس لكـــم ان تنزعوا عنا هذه الصفة ، نحن الذين علمناكم ، وزرعنا فيكم هذه الفكر ···

الرئيس الجديد : وتخليتم ·· نحـــن نطالـــب بالتصويت ···

(رصاص ·· رصاص ·· رصاص ··)

الرئيس القديم : ونحن ننسحب · اجل ننسحب ··

سعد : قفوا قليلا ·· هذا الرصاص لا علاقة لـــه بسلام ·· هذه قوى خارجية تستفيد من خلافاتنا ·· سلام وطني وشريف ·· انه احنى علينا وعلى العقيدة منا جميعا ·· هذا تآمر خارجي ·· وحدوا صفوفكم ··

الرئيس الجديد : لا ·· لا ·· لا مجال ·· انتهى كـل شيء ·· فأما نحن او انتم ·· (يلتفت الى الضابط) ايها الرفيق اعلن التعبئة العامة باسم المسؤوليـــة التاريخية ·· نحن في معركة مع الاعداء ····

سعد : اي اعداء ·· من خارج الحدود ؟ هل تقصد ذلك ؟

الرئيس الجديد : لا ·· لا ·· من الداخل ···

(صوت التنين برهبة كبـــيرة)

زياد : رباه ما هذا الصوت ؟٠

رجاء : اجل ما هذا ٠٠ ما هذا ؟

سعد : هل سمعتم ٠٠ انه يصرخ ٠٠ انه يلتهم التنين ٠٠ التنين ٠٠

الرئيس الجديد : عم تتكلم ٠٠ أسمعنا ماذا ؟ على كل انا منسحب ٠

سعد : (ملتفتا الى الرئيس القديم) ٠٠ هل سمعت ٠٠ هل تسمع ؟٠

الرئيس القديم : عم تتكلم يا سعد ؟ انا لم اسمع سوى صوت الرصاص ٠٠

سعد : رباه ٠٠٠ رباه ٠٠٠ التنين صوت التنين انه يملأ اسماعي ٠٠ وروحي ٠٠ الا تسمعون ايها الرفاق٠٠ ايها الرفاق ؟٠

(يقف الجميع متأهبين للانصراف)

سعد : (في شبه جنون) لا تذهبوا ٠٠ لا تذهبوا ٠٠ قبل ان نتفق ٠٠ نتفاهم ٠٠ يجب ٠٠ يجب ٠٠ سلام٠ سلام ٠٠ اين انت ٠٠

الرئيس الجديد : (صائحا) هدىء نفسك ٠٠ ولا تمارس جنونك علينا ايها الرفيق سعد ٠٠ آلت تعرض نفسك للمسؤولية ٠٠

(يخرج الرئيس القديم والرئيس الجديد والضباط)

سعد : لا ٠٠٠ لا ٠٠٠ انني اسمع ٠٠ انني ادرك ٠ انني اشعر ٠٠

زياد : وانا اسمع ايضا ٠ ٠انا بالفعل اسمع ٠٠

رجاء : وانا ٠٠ انا اسمع كثيرا ٠٠ الاسطــــورة ٠٠ اللعنة ٠٠ رباه ٠٠ ايها الرفاق ٠٠ ايها الرفاق ٠٠ يجب ان ننقذ سلام ٠٠

زياد : اليه ٠٠ اليه ٠٠ هلموا ٠٠ هلموا ٠٠

(يخرجون من مكتب الحزب)

(المشهد الثالث)

(يفتح الستار على سلام وهو يتسلق مكانا مرتفعا يجثم على ظهره التنين ، سلام يحمل سيفا كبيرا بيد ومسدسا بيد اخرى ·· الضوء خافت ··) ·

(صوت التنين بشكل حشرجة)

سلام : (وهو يصعد نحوه) سأقتلك ·· سأقتلـــك ايها الكافر المدمر ··

(التنين يعيد الصوت)

سلام : سأسحق هذه اللعنة ·· واخلص المدينـــة منك ·· من آثامك ·· من لعنتك ·· (يضرب رأســـ التنين بالسيف وهو يردد) : ·· سأقتلك · سأقتلك ·· سننجو منك ·· (يسقط) وهو يحاول الارتفـــاع ··· التنين يرتفع بصوته ··· سلام ينهض يستل خنجرا من حزامه وينقض على التنين يطعنه ···· صـــــوت التنين يرتفع بشكل ضحكة ساخرة ويصرخ على الشكل السابق ···· سلا ميصوب المسدس ···· ويطلق ست مرات ····· التنين يعلي صوته كالسابق وتضــــيء عينه وتلمع ··· سلام يهوي الى ارض المسرح) ·

سلام (متأوها : مخاطبا التنين ··) ما اقساك ·· ما اصلبك ! ما اعندك ، ما قاله عنك صديقنا الكهل صحيح · عنيد ·· صلف ·· متكبر ·· نهم ·· ولكن سأحطمك ·· سأحطمك ··· سأجد الوسيلة ·· لا بد ان اجدها ··· لا شيء مستحيل ·· المستحيل (يتوقف قليلا) المستحيل ·· هل هناك شيء مستحيل ؟· رباه انني اشعر بالعجز ·· سأنسحق ، سأتحطم ان لم اقتل هذا التنين ·· (يقذف التنين بالسيف غاضبا صائحا) تحطم ·· تحطم ···· (يتحطم السيف ويرتد ··· يصرخ التنين ···) ·· رباه ان هذا العجز الذي أشعر به يكاد يحطمني ·· يا الهي ما افظع ان يصطدم العجز بالمستحيل ·· ولكن لا ··· لا ، لقد قال المعلم مرة ، انه لا مستحيل على النفس البشرية المؤمنة ··· المؤمن يقتحم الجدران ، فيخترقها ، يعبرها فينهار المستحيل في وجهه ·· يا الهي انا مجهد ·· مجهد ·· اشعر بالغربة ·· اشعر بالحزن العميق ·· (يقترب من اول القمة ويلقي بنفسه عليه وكأنه ينام (صمت) ··

التنين : ـ (صوت يخرج متحشرجا قاسيا) سلام ·· سلام ·· (صمت) ·

سلام : (وكأنه يصحو من حلم) من ·· من يناديني (صمت) لعلي احلم ·· ما هذا الصوت ؟·

التنين ·· سلام ·· سلام ·· ان الذي يخاطبك هو التنين ·· انا التنين اخاطبك ···

سلام : (منتفضا من مكانه في خوف) يا الهي ! من ·· من ؟

التنين : سلام لا تخف ·· انصت الي ··· اصح ·· (تنهدة حارة من التنين ·· صمت) ·· اسمع يـــا سلام لماذا تتعذب ؟ لماذا كل هذه المعاناة ؟

سلام : (ناظرا للتنين وقد مد يديه) انت تعرف ·· انت تعرف · ·لقد سمعتني ·· انـــت السبـــب ، وجودك ·· لعنتك ·· لقد دمرت المدينة وشوهتها ···

التنين : (ضاحكا بصوت متحشرج مرتفع) انـــا يا سلام ·· انا الذي دمرتها ؟·····

سلام : اجل اجل ·· انت ، لقد حدثني العم الكهـــل عن كل شيء ·· حدثني عن اللعنة ·· هذا الكهـــــل الجليل يعرف كل شيء ·· ظنناه مجنونا في بـادئ الامر ·· لقد وصل الماضي بالحاضر ، وانت هنا ·· هنا تجسد اللعنة ، وتشوه اعماق الناس ، وتثير الواحـــد على الاخر · ·ارحم هذه المدينة ·· ارحل ·· ارحل ·· ناشدتك الله ·· باسم الحب ··· باسم الرحمة ،باسم العدالة ·· باسم الاطفال ، باسم القتلى والجرحـــى الذين يتساقطون ·· ارحل ·· ارحل من هذه المدينة ···

التنين : (بشيء من الالم) وهل صدقت كل هذا ·· انت يا سلام ؟···

سلام : انت حي موجود ·· انت هنا تتجسد وتحيا ، وتصرخ وتنفث سمومك ·· انا سمعتك والان اراك ·· كيف لا تريدني ان اصدق ؟

التنين : ومن احضرني يا سلام ··

سلام : (متعجبا) من أحضرك ؟ انـــــت حضرت بنفسك ، طمعك ،جوعك ، حقدك ، معرفتك بأمراضنا

واستغلالها ، ربما وجود بعض التربة الخصبة لشهواتك ونزواتك ...

التنين : صح ، وخطأ يا سلام ..

سلام : رباه .. حتى انت تتحدث عن الصح والخطأ ...

التنين : اجل يا سلام .. (ضاحكا بصوت متحشرج) الصح والخطأ .. ولكنني مظلوم بعض الشيء ، بل كثيرا .. ارجو ان تصدقني .. انا لم احضر الى هنا ، وانا لست حرا في الاختيار وحريتي ليست ملكي .. في الذهاب الى حيث اشاء .. انا احضرت الى هنا ، وهناك من هو اقوى مني ، هناك من هو أقدر على الشم مني ، يشم رائحة المستنقع ، ويزكم بها انفي فأتحرك واعمل ، وافترس واتغذى واترعرع على العذاب . لقد احضرتني هذه القوى الخفية ، وآثامكم وامراضكم جزء كبير منها .. وشنقتني هنا منذ القديم .. وساظل مشنوقا هنا حتى ..

سلام : حتى متى ؟. اجب ايها التنين .. انني اسمع منك العجب .. هل تتعذب انت ؟...

التنين : اتعذب وأسأم ، ولقد ادمنت طعامي ، وعذابي يخف مع الايام .. ولكن السأم .. آه من السأم .. السأم .. كل هذه الاجيال وانا مشنوق على قمة هذا الجبل اقوم بالدور نفسه واكرر العمليات ذاتها .. والتهم الطعام نفسه .. ويبدو انني سأبقى . .وسأبقى طويلا ..

سلام : بسذاجة .. ولكنك لن تبقى ايها التنين فأنا

هنا لاقتلك ، وساستمر في المحاولة ، ساستمر ولــو استغرقني عمري ..

(صوت مرتفع من التنين)

التنين : سلام .. وكأنك لم تفهم ما كنت اقوله لك .. ان النزوات والرغبات السيئة تحركني ، وتفتح لي شهيتي ، انا محكوم علي بهذا .. ولن يستطيع مدفع او سيف او قنبلة ان تؤثر بي .. لقد حاولت انــت وربما حاول غيرك منذ التاريخ ...

سلام : انصحني ايها التنين .. انصحنــــي بالله عليك ماذا افعل .. اريد ان انقذ مدينتي ...

التنين (وقد رق صوته) : انني مشفق عليــك .. ارثي لك مع أن قلبي لا يعرف الرحمة ، ولكن هنــاك شيئا في نبراتك يمس شغاف قلبي .. كم بريء انــت وكم انت ساذج ؟ هل من المعقول او الطبيعي ان اعلمك على مواطن قلبي وضعفي فتزداد بذلك اللعنة علــي وانقل الى حيث العمل والافتراس ربما كــان اشــد صعوبة وعذابا .. فيطول سامي حيث لا احب .. يكفي انني لا الاقي صعوبة في عملي هنا ... ومدينتكــم تسيل حتى العظم بالنزوات والفردية .. مجالــي ، مجالي الخصب ..

سلام : لست ادري لماذا اصدقك ايها التنيــن .. ولكن ارحمنا .. ارحمنا لقد طال العذاب بنا .. اجيال وراء اجيال ، والموت يحصدنا ، والدود ينخر في عظامنا لماذا ، لماذا تدفع مدينتنا كل هذا الثمــن ، فنمــن

بالرغم من كلّ هذا اطيب عنصرا من غيرنا ، ابدعنـا القيم وتحدثنا فيها ، ودعونا الى المحبة ‥ اجل المحبة وتاريخنا مليء بالمحاولات الخيرة وبالعطاء من اجـل العطاء ‥

التنين : (وكانه يجهش ويتأوه ويرد بعد سـلام) المحبة ‥ المحاولات الخيرة ‥ العطاء من اجل العطاء ٠

سلام : لماذا تتأوه ‥ لماذا تردد هـذه الالفـاظ بتأوه ‥ و ‥

التنين : (مقاطعا وبشيء من الجدية) ‥ سـلام لماذا تحب ان تموت ؟

سلام : لافدي ان كنت استطيع ‥ ليتني استطيع انا غيرك ايها التنين ، انا اعرف معنى التضحيـة معنى الفداء ‥ ولو كنت اعرف ان موتي في هذه اللحظة يفعل شيئا من اجل مدينتي وافكاري التي احـب ، لمت ‥ الان ‥

التنين : ولكنك مازلت صغيرا يا سلام ‥ دعك من هذه الاوهام ‥ دنياكم على قباحتها مليئة بالجمـال والحياة اللذيذة ‥ تمتع ‥ بها ، عب منها ‥ اطـرح عنك هذه الافكار ، ودع غيرك يهتم بها ، ليس لك من هذه الامال والافكار ومن هذه المدينة اكثر من غيرك ‥‥ وانت بعد لاتزال قويا تستطيع ان تعيش وتحيا اينما تريد ‥ ارحل ‥ ارحل ‥

سلام : انت تقوم بدورك الان ايها التنين ‥ انـت تردد الدرس ، وتسمعني موعظتك الخالدة ‥‥ ولكن

كيف ‥ كيف اكون سعيدا ومدينتي بائسة ‥ وهل يستطيع الانسان ان يسعد في مجتمع مثخن بالجراح ؟·

التنين : اجل اجل تسطيع ‥ اهرب ‥ اهرب بعمل خاص ‥ أهرب باللذة ‥ اهرب بالخمر ، اهرب بالتجارة ، بالمال ··· تسل بالحياة واجعلها عملية احتيال على الايام والزمن حتى ينتهي عمرك ‥ فالموت حقيقة خالدة ، ستدركك مثلما تدرك الجميع ‥

سلام : والخلود ‥ والصيت الحسن ‥ والعطاء ، من اجل العطاء ، كيف اتخلى عن حدودي وبنائي وتكويني ، انا ابن هذه القيم ؟

التنين : انت ابتدعتها ‥ انها في عقلك فقط ·

سلام : لم ابتدعها وهي ليست في عقلي ‥ ابتدعها المصلحون ، الانبياء ، الشرفاء من الذين عاشوا وماتوا من اجل هذه القيم ونحن ابناؤهم نجهد ونحاول ان نحمل رسالتهم في الفضيلة والابداع ‥

التنين : انت تؤمن بهذا ‥ وهل انت واثق انهم هكذا ‥ كما تقول تماما ‥ وتصف تماما ؟ ‥

سلام : اجل ‥ اجل ‥ فيجب ان يكون معنى لهذه الحياة ···

التنين : (ساخرا ضاحكا) ها ها ‥ ‥ اذن انت تؤمن ‥ ظل على ايمانك اذن ، فانت على استعداد ان تموت ···

سلام : الان اذا تهيأت لي فرصة شريفة وغاية نبيلة ‥

التنين : (بغضب) سلام ٠٠ سلام لا تكن مجنونا انت تعرف انهم يطاردونك ٠٠ انت متهم بجريمة قتل ٠٠ سلام انهم يبحثون عنك في كل مكان وكلاب الشرطة والشرطة تطاردك ٠٠ لقد سمعتهم امس يتحدثون ٠٠

سلام : هل سمعتهم ؟ وماذا سمعت ايضا رحماك ايها التنين قل لي ٠٠٠ ماذا حدث في اجتماعهم الاخير ٠٠ كلي فضول ٠٠ رحماك ايها التنين ٠٠٠

التنين تحدثوا عن جريمتك ؟

سلام : هل ارتفعت اصوات بالدفاع عني ٠٠

التنين : قليلة ٠٠ قليلة جدا ايها البشر الذي يريد ان يموت ٠٠ انظر ٠٠ انظر ٠٠ الى تعلقك بالحياة ٠٠ بالارض ٠٠

سلام وماذا ايضا ؟ ٠

التنين : اتهموك بالعصيان ٠٠

سلام : وماذا ايضا ؟ ٠٠

التنين : لا تفرح كثيرا ٠٠ ارتفعت اصوات بالحب والصدق ٠٠ لقد سمع بعضهم صوتي ٠٠

سلام : (بلهفة وفضول) وماذا ماذا ايضا ٠٠ من هم ٠٠ بربك ايها التنين من هم ؟

التنين : (بكلمات متقطعة) لا تفرح كثيرا ٠٠ بعضهم ٠٠٠ سعد ٠٠٠ رجاء ٠٠ طلال زياد

سلام : يا للهول ٠٠ رباه ٠٠ هل سمعوا ٠٠ وهل

قالوا ؟ زياد هل سمع زياد ‥ زياد ايهـــا الحبيـــب اخيرا ‥‥ اخيرا ‥‥ وثاروا قل ايها التنيـــن هـــل ثاروا ٠ ؟ ٠

(يسمع صوت غناء من بعيد ناعم وجميل ‥ صوت سيدة ‥ ترتفع اصوات الموسيقى ‥ يدخل الى المسرح مجموعة من العذارى كأنهن الملائكة يرتدين اقنعـــة شفافة وعلى رؤوسهن الريش والتيجان يلتففن حــول سلام وهو في منتصف المسرح وينشدن اغنية الحـــب مشتركات ‥ ثم ينفردن بمخاطبته شعرا ‥‥) :

الاولى : سلام يا انشودة المدينة ‥‥

الثانية : يا حبها الكبير ‥‥

سلام : (في ذهول) ‥ انتن ‥ ومن انتن ؟

الثالثة : سلام يا الحانها الحزينة ٠

الرابعة : وروحها المقيد الاسير ٠ ٠

الخامسة : سلام ، في غد تصير ٠

سلام : من انتن ومن انتن ‥

اجبن نداءاتي ‥

وانا لا اعرفكن ‥‥

اكاد اقول باني ‥

لا اعرف ذاتي ‥‥

الاولى : وعندما تدق ساعة الزوال ٠

الثانية : معلنة اشارة الرحيل ٠

الثالثة : ستمتطي اشرعة الخيال ٠

الرابعة : وتقحم المحال ٠٠

الخامسة : لا شيء مستحيل ٠٠ لا شيء مستحيل ٠٠

سلام : أأمتطي اشرعة الخيال ٠٠ ها ها ٠٠ واقتحم المحال ٠٠ ها ها ٠٠٠

(بسخرية) : يداي ٠٠ ذي يداي في الحبال ٠٠

فمن يقطع الحبال ٠٠

ومن يكسر الاغلال ٠٠

انا ٠٠ المهشم الامال ٠٠

انا ٠٠ ضحية الاجيال ٠٠

الاولى : (بحنان) وفي غد ٠٠ وعندما يضحك المصير ٠٠

الثانية : وبعد ان ينتصر المصير ٠٠

الثالثة : تذكرك العصور ٠٠

الرابعة : فلتستعد للمسير ٠٠

(يحشرج التنين وتومض عيناه)

سلام : ماذا ؟ أسمعتن ؟

الخامسة : لم نسمع شيئا ٠٠٠

سلام : ورأيتن ؟

الاولى : لم نبصر شيئا ..

الثانية : هيا .. هيا يا اخواتي .

الثالثة : نزرع في الدنيا البسمات ..

الرابعة : ولنتركه الان يموت ..

الخامسة : لا بد يموت ...

الاولى : سيموت ليحيا ...

الثانية : حرا .. كالاحلام ..

الثالثة : ولينقل اسرار الدنيا ..

الرابعة : للارحام .. (يخرجن) .

سلام : انتن .. من انتن .. لا تذهبن ..

التنين : (بقلق) .. سلام ... سلام دعهن .. سلام اسمعني .. ارى كلاب الحراسة تقترب من بطن الوادي وتتسلق السفح .. سلام .. الشرطة تتبعهم بلهفة وفضول وحب .. وانتصار ..

سلام تعالى واختبىء خلف ظهري .. احميك .. احميك .. سيقتلونك .. سلام سيقتلونك .. تعال واختبىء ..

سلام : اختبىء . من ماذا .. سيقتلونني .. ولماذا اعيش ، فليفعلوا .. انا ايضا سئمت .. وتعبت .. انا بشر .. طاقتي محدودة .. ربما استريح .. هم اخوتي فان فعلوا فلن احقد عليهم .. لعلهم على صواب .. لعلهم على خطأ .. من يدري .. من يدري..

التنين : سلام ، الحياة جميلة ، لا يجب ان تموت ..

سلام : لا تكرر الموعظة .. والذي يؤلمني انني اموت بلا ثمن ...

التنين : وبلا قضية .. سلام ، لا يجب ان تموت ...

سلام : القضية موجودة ابدا في نفوس الشرفاء .. ولكنني كنت اريد الثمن من وجودك انـــت ايهــا التنين .. كنت اريد ان انتصر بزوالك ، فتعيشـــ مدينتي حرة سالمة كريمة ..

التنين : (صائحا) : سلام .. ســلام انهـــم يقتربون .. سلام اصعد ، اختف خلفي سأحميك ... سلام لا يجب ان تموت .. انك تقتلني انك تقتلني..

سلام : ماذا .. ماذا .. ماذا ..

(تدخل الشرطة ثلاثة منهم مسلحون)

الاول : ها هو .. ها هو المجرم اطلق الرصاص ايهـا الملازم ..

الملازم : (يطلق الرصاص على ظهر سلام الـــذي كان ينظر الى التنين) لقد أصبته .. اصبته .. ان المجرم يتدحرج ..

(التنين يصرخ صرخة جديدة .. ويقع حجر كبـــير من خلف المسرح حيث يكون التنين عـــلى أرضـــ المسرح ......) .

سلام : يا الهي .. يا الهي .. لقد ما ت.. لقـــد مات .. اللعنة .. ذهبت اللعنة .

الشرطي : لم يمت احد : انت الذي مت ايها المجرم لقد اهتدينا اليك بعد عذاب وكنت تختفي في هـذا الجبل كالفار ...

سلام : (حلقى على ظهره) يا الهي .. لقد مات .. لقد انتصرنا .. انتصر الحب .. انتصر العطاء انتصر الفداء .. ستعيش حركتنا ، ستنتصر مبادئـنا ... ستزول اللعنة ..... المدينة الحبيبة ما اجملها .. مـا اجملها .. انني المحهم يتعانقون .. ويتصافحون .. ويعملون .. آه ربما .. يعملون .. لقـد .. لقـد .. مات ..

(يموت سلام)

(يقفون حول جثمانـه)

الشرطي : مخاطبا زميله .. احملـه .. معـي .. فبعد كل شيء كان رفيقنا ...

الملازم : انتظر .. (صمت) (ينظر الى سلام) ترى لماذا قتلناه ..

الشرطي : هل كان يعرفه سيدي الملازم ...

الملازم : اعرفه .. ولا اعرفه .. لقد لقيته مرة فـي مكتب الحزب عندما وصل لاول مرة .. تخاصمنـا .. قال لي كلاما كبيرا .. اهانني تحداني .. عجبا .. لماذا لا احس بهذه الاهانات الان ...

الشرطي : بسيطة يا سيدي .. لانه مات !!

الملازم : هل تعتقد ؟ لا .. لا .. انني احـس بالحب

تجاهه الان ·· هناك تغير في داخلي ·· لماذا اطلقنـــا النار لماذا ·· كان يجب ان يحاكم ·· كان يقول اشياء رائعة ·· سمعته يتكلم كثيرا في الاجتماعــات ·· والان يتكلم مثله الكثيرون ·· يركع الى جانبه ···

الشرطي الثاني : سيدي انظر الى وجهه ·· هل هذا وجه ميت ·· انظر انظر ·· انه يبتسم ··

(اصوات من خلف المسرح : صوت سعد)

سعد : سلام ·· سلام ·· اين انت يا سلام ؟ لقــد اتينا ·· لقد انتصرنا وتصافينا ·· المحبة ·· الحب ·· العطاء ·· سلام ··

(يدخل الى المسرح زياد وسعد ورجاء وطلال) ·

زياد : يدفع بالشرطي : ماذا فعلتــم ؟· قتــــل ·· مات ·· مات !!

سعد : رباه ·· يا الهي ··

طلال : بخشوع ·· ليته عاش ساعة فقط ·· لـــو تأخروا ساعة فقط ·· لعرف كل شيء ·· ولمات سعيدا على الاقل ··

زياد : (يقترب من سلام بخشوع ووقار يخاطــــب سلام) قم ·· قم وانظر ·· قم واشهد كل الـــذي اردته ·· لقد تحقق ·· هل كان لا بد ان تموت ··؟ الم تستطع ان تنتظر ·· لطالما قلت لك ·· لقد تحقق ·· هل كان لا بد ان تموت ··؟ الم تستطع ان تنتظــر ·· لطالما قلت لك ·· ايها الحبيب المتعجل المتسرع ··ايها

الصادق الغيور .. لقد تصالحوا وتعانقوا ..تماما تماما مثلما كنت تشتهي .. وثبت لنا كلنا ان كل خــــلاف يمكن ان يحل بين ابناء العقيدة الواحدة .. وحتى مـع الخصوم احيانا .. فقم وانظر .. قم وانظر ..

سعد : لماذا تركتنا يا سلام .. لماذا تركتنا ايتهـا النفحة الطاهرة ..

رجاء : (يلتفت الى الارض) ولكن ما هذا .. مـا هذا ؟ (يرفع حجرا كبيرا عن الارض عليه رســم حيوان مفترس يقتربون منه) .

سعد : هذا الرسم لتنين كبير .. عجيب وجميل هـذا النقش البديع ...

طلال : ولكنه يبتسم انظر رسم التنـين وهـو يبتسم .. من رأى تنينا يبتسم ؟...

زياد : ولكن يا رفاق اعذروني .. اليس هذا الجبل هو المكان الذي يقال في الاسطورة التي نسمعهـا ان التنين يجثم فيه ؟ .

رجاء : دعونا من هذا .. تعرفون انها أسطورة ..

سعد : زياد ..

زياد : سعد ..

سعد : لقد قتله .. قتله (بأعلى صوته) لقــد قتله . .اقسم بالله .. ولكن كيف .. كيف ؟.

رجاء : بالله يا سعد اتركنا من جنونك ..

(صوت حديث من خارج المسرح)

طلال : مؤشرا خارج المسرح ·· انظروا يا اخـــوان الرئيس القديم والجديد يتأبط الواحد منهمـــا ذراع الاخر ·· يضحكان ·· ويتناقشان بهدوء ··

رجاء : الحمد لله ·· الحمد لله ··

(صوت من خارج المسرح)

الرئيس الجديد : بلغني الان انهم قتلوه ·· كـــان يختبيء عند الجبل ·

الرئيس القديم : رحمه الله ·· كان عجولا بعضــ الشيء ·

سعد : عجولا ·· عجولا ·· لماذا لا تقولون مجرما ؟·· كل شيء قاله وصلتم له · الحمد لله ·· (يلتفت الــى الملازم) ولكن انت قل لي لماذا قتلته ·· هل طلبـــت اليه ان يستسلم فرفض ·· (يقترب من سلام يقلبه الرصاص في ظهره ·· يرفع صوته) قل لـــــي لمــاذا قتلته ؟··

الملازم (متلعثما) سيدي ·· لا اعرف ·· كنــــت مجهدا ·· والاوامر ·· انا حزين ·· حزين ··· لاول مرة اشعر بالندم ·· الندم يا سيدي يطاردني ·· هـــذه اولى جرائمي ·· ارحموني ··

سعد : في ظهره يا قذر ·· هذه الروح التي حملـــت كل آثامكم ·· سأرفع تقريرا لهذا ·· اذهبوا ·· اذهبوا جميعا ··· سنحمله نحن رفاقه ·· رفاقه الذين نحبه نحب فيه فضائله ورذائله ·· نحـــب فيـــه الملاك والشيطان ، اجل رفاقه الذين احبوا فيه كل تناقضاته

التي ثبت فيما بعد انها كانت تنبع من صدق معاناته ·· من أجلنا ·· اجل من اجلنا ·· اجل من اجلنا ·· اذهبوا ·· اجل اذهبوا ··

(تذهب الشرطة ويبقى الرفاق)

زياد : لقد رحل ·· يجب ان نعيده بيننا ·· ان نرد له كرامته ·· يجب ان ننشر اقواله ونسهم في تكريمه وتخليده ····

سعد : زياد لا يكفي ··

طلال : هلم نحمله ونذهب ··

سعد : لا ·· لن ندفنه يجب ان يراه الناس في المدينة ··

رجاء : المدينة سعيدة اليوم بالانجازات والمشاريع الجديدة ·· وبالحرية التي اعطيت لشعبها في كل شؤون الحياة ···

سعد : يجب ان تلبس المدينة الحداد ·· لقد قتلوه ·· غدروا به ·· كان من الممكن ان لا يفعلوا ·· لقد تعمدوا ·· لقد قصدوا ··

طلال : رجاء ·· تعال معي ، ان الرفيق سعد مجهد ، سنحضر من ينقل جثمان سلام ···

(يخرجان ·· يبقى سعد وزياد)

سعد : زياد ··· قتلوه ···

زياد : لقد فعلوا ولكن ···

سعد : صائحا ·· لكن ·· لكن ·· لكن ماذا ؟ · لقد قتلوه ·· القتلة ·· القتلة ·· يجب ان اثـــار لـه ·· قتلوه ·

زياد : سعد لا يجوز ان نبدأ من جديد ···

(حشرجة صغيرة من التنين)

سعد : زياد ·· زياد ·· هل تسمع ·· هل تسمـــع (بأعلى صوته) التنين ·· صوت التنين ·· يستيقظ يستيقظ ·

(يسدل الستار)

المحتويات

